جوانب من الحياة العلمية للمدينة المنورة

في العصر العباسي

١٣٢هـ - ٦٥٦هـ

«دراسة تأريخية»

إعداد

د. عمرو بن عبد العزيز منير

أستاذ مشارك

جامعة أم القرى - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

- قسم التاريخ

ملخص البحث

تهتم الدراسة بالجانب العلمي ودور العلماء في المدينة المنورة في العصر العباسي ومدى تأثر الحياة العلمية في المدينة بالهدوء أو الاضطراب السياسي، كما توضح الدراسة بعض أوجه النشاط العلمي المكثف بالحرم النبوي الشريف، وتناول البحث العوامل المؤثرة في الحياة العلمية والثقافية مثل العوامل الدينية التي تمثلت في: علم القراءات، علم التفسير، علم الحديث، علم الفقه، وأثر المجاورين في الحياة العلمية والثقافية، وتناولت الدراسة أثر العوامل الاجتماعية، والعوامل الاقتصادية، والعوامل السياسية، والرحلات العلمية بين المدينة ومكة، والرحلات العلمية بين المدينة وسائر الأقطار الإسلامية.

Abstract

"Aspects of the Scientific Life of Medina in the Abbasid Era 132 AH - 656 AH"

“ Historical study”

The study focuses on the scientific aspect and the role of scientists in Medina in the Abbasid era and the extent of the impact of scientific life in the city calm or political turmoil, as the study shows some aspects of intense scientific activity in the Holy Mosque, the research dealt with factors affecting scientific and cultural life such as religious factors: science readings, science Explanation, Hadith, Jurisprudence, the impact of neighbors in the scientific and cultural life, and dealt with the impact of social factors, economic factors, political factors, scientific trips scientific trips between the city and Mecca, and scientific trips between the city Other Islamic countries.

المقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

الحياة العلمية والثقافية للمدينة المنورة في العصر العباسي «دراسة تاريخية» تنبع أهميتها من المكانة التي تمثلها المدينة المنورة في أفئدة قلوب المسلمين، ففيها ثاني الحرمين الشريفين وإليه تشد الرحال، وكانت أول عاصمة للدولة الإسلامية، حين أسس ﷺ بها مسجد قباء، ثم أسس مسجده الشريف، فكان مكانًا للعبادة إلى جانب كونه مكانًا للتدريس. وتعد حلقات المسجد النبوي الشريف التي كان يعقدها النبي ﷺ لتعليم أصحابه أولى المجالس العلمية فيها، وقد أنشأت هذه الحلقات جيلا عظيمًا من الصحابة الكرام رضي الله عنهم يجمع بين العلم والعمل، وعندما علم النبي ﷺ أن بعض أسرى بدر لديهم بعض المعرفة بالكتابة والقراءة جعل فدية فك أسرهم أن يعلموا عشرة من صبيان المسلمين، وفي بداية السنة الحادية عشرة من الهجرة ٦٣٢م اختار النبي ﷺ لقاء وجه ربه الكريم، وانتهت بوفاته أعظم حقبة في تاريخ المدينة، حقبة تأسيس الدولة الإسلامية الأولى[١].

(١) تهاني جميل سليم: الحياة العلمية في المدينة (١١٤٣ – ١٣٣٧ هـ/ ١٧٣٠ – ١٩١٩م) رسالة ماجستير – غير منشورة – كلية الشريعة، جامعة أم القرى ٢٠١٠م، ص ٥ – ٧.

وخلال العهد الراشدي استمرت المدينة عاصمة مزدهرة للدولة الإسلامية؛ لأن الخلفاء الراشدين ساروا بالتعليم فيها سيرا حسنًا لإيصاله إلى كل أفراد المجتمع الإسلامي، وكان مبدأ «مجانية التعليم» من أهم معطيات العصر الإسلامي الأول.

وتسارعت القوة المعرفية للمدينة المنورة نحو المجد، حتى تسنمت قمته، ورغم تحول الخلافة إلى دمشق في عهد الأمويين، وبغداد في عهد العباسيين، ظلت المدينة قوة معرفية وتنويرية تؤدي دورها العلمي المنوط بها وبقيت أرض الهجرة ودار الإيمان مهوى أفئدة العلماء وطلاب العلم من كافة أنحاء العالم الإسلامي، يفدون للزيارة أو المجاورة أو الفوز بفرص التدريس في هذه المدينة المقدسة، ولقاء شيوخ وعلماء ذاع صيتهم للاستفادة من علمهم والحصول على الإجازات العلمية، كما مر بها عدد من العلماء والرحالة الذين قدموا للحج والعمرة والزيارة، يضاف إلى ذلك قدوم عدد من العلماء لتولي وظائف دينية أو إدارية ساهم هؤلاء جميعا في إثراء الحركة العلمية في المدينة[1]، كما ظلت على مدار التاريخ العباسي مثار أقلام مؤرخين وعلماء ورحالة، من سائر الأقطار يكتبون عن فضائلها وأمجادها ومعالمها التاريخية الكتب والمصنفات العديدة، فصنعت إرثًا معرفيا دينيًا وعلميا متميزًا. وهذه

(١) عبد الرحمن المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي دراسة تاريخية، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض ٢٠٠١م، ص ٢٥٧.

الدراسة إنما وضعت لتتبع قافلة الاهتمام بالدراسات والبحوث عن هذه المدينة وجاءت الدراسة بعنوان «جوانب من الحياة العلمية للمدينة المنورة في العصر العباسي دراسة تاريخية» مع التركيز على أثر علماء الحرم النبوي الشريف في الحياة العلمية والثقافية في عصر الخلافة العباسية.

ملتزمًا بحد مكاني متمثلاً في مدينة الرسول ﷺ، وفي إطار زماني متمثلا في العصر العباسي بين عام ١٣٢هـ - ٦٥٦هـ الذي شهدت فيه الحركة العلمية ازدهارًا كبيرا في شتى الميادين لظهور الكثير من العلماء والمفكرين في مختلف العلوم ، وانتشار حركة الترجمة واهتمام الخلفاء بالحركة العلمية والفكرية، إلى جانب اعتنائهم بالدفاع عن حدود الخلافة العباسية.

وقد أسهمت في بناء هذا التراث الفكري والعلمي الأمصار الإسلامية، وفي مقدمتها المدينة المنورة. ولعل قوله ﷺ: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[1] ؛ لقدسيتها ومكانتها الجليلة في القلوب، وما تمثله من إرث نبوي. دافع لإعداد الدراسة – التي فوق راحة اليد الآن – فضلا عن ما تحتفظ به ذاكرتنا التاريخية والحضارية من ثروة عظيمة من العلماء والأعلام، وصناع الحضارة الإسلامية، الذين أوقفوا حياتهم على طلب العلم وتعليمه؛ ومدينة الرسول ﷺ جديرة بأن ندون لأعلامها العظام، ونوضح آثارهم العلمية ونحفظ

(١) صحيح مسلم، ج ٩، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، ص ١٣٦.

تاريخهم، ولأن الجانب العلمي في المدينة خلال العهد العباسي يستحق المزيد من الدراسات العلمية، التي من شأنها توضح الدور السياسي للمدينة إبان الخلافة العباسية وما كان من فتن وقعت بها وأثر ذلك كله على الحياة العلمية وموقف أهل العلم من السلطة السياسية، ولنقف على أسس بناء المدن المعرفية في التاريخ الإسلامي، وإثراء الدراسات التاريخية عن المدينة المنورة التي يأرز إليها الإيمان كما تأرز الحية إلى جحرها. هذه المميزات الخاصة للمدينة أعطاها ميزة علمية أيضًا، حتى اشتهر في كتب الفقه مصطلح «عمل أهل المدينة» كأحد الحجج الفقهية والأحكام التي يبنى عليها وذلك؛ لاختصاص المدينة بنزول معظم الأحكام فيها وصلة المجتمع المدني بموروث النبي ﷺ، واستيطان كثير من مشاهير الصحابة والتابعين وتابع التابعين فيها، لذا كان الجانب العلمي للمدينة المنورة ميزته الخاصة، وتأثير واسع ليس فقط في نطاق المدينة المنورة وإنما على امتداد الخلافة الإسلامية يجعله جديرًا بالدراسة[1].

(١) عذاري بنت ابراهيم بن عبد العزيز الشعيبي: تطور التنظيمات الخاصة بالقضاة في المدينة المنورة خلال العصر العباسي، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، ع ١٨، ٢٠١٧، ص ٥.

أبرز العوامل المؤثرة في الحياة العلمية والثقافية

في التاريخ الإسلامي وجِدت مدن علمية رفعت علَم الدين والمعرفة، كمكة، والمدينة، والبصرة (بنيت سنة ١٦ هـ/ ٦٣٧م)، والكوفة (بنيت سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م)، والفسطاط (٢٠ هـ/ ٦٤١م)، والقيروان (٥٠هـ/ ٦٧٠م)، وقرطبة (١٣٩هـ/ ٧٥٦م)، وبغداد (١٤٥هـ/ ٧٦٢م)، وفاس (١٩١هـ/ ٨٠٧م)، (والقاهرة (٣٥٨هـ/ ٩٦٩م)[1] . هذه المدن المعرفية اعتمدت على كفاءة العنصر البشري، أكثر من الاعتماد على المواد الخام، وجعلت الصناعات المعرفية وتصدير السلعة المعرفية المورد الاقتصادي الرئيسي لها.والمدينة المنورة تميزت عن بقية المدن؛ لما فيها من خصائص حافلة بالكنوز النفيسة والثقافة الإسلامية المعتدلة وإمكانية تأثيرها في الثقافة العلمية بتفعيل كنوز السنة النبوية مع العلوم المعاصرة والمستقبلة لتجديد الثقافة والجمع بين الأصالة والمعاصرة.

ليس هناك تاريخ محدد مؤكد لظهور المدينة المنورة، والمتاح من أخبارها روايات ذَكرت التراث ولا يمكن الاعتماد عليها تأكيديًا، وأخبار وإشارات متواترة عن وجود هذا المركز المعرفي ربما قبل الميلاد بألف من

(١) عمرو عبد العزيز منير: الثقافة بين بغداد والقاهرة في التراث العربي الإسلامي عصر السيادة الإسلامية (بحوث ندوة بغداد عاصمة الثقافة العربية ٢٠١٣م، تحرير منتصر الغضنفري، بغداد ٢٠١٤م)، ص ٤١ بتصرف؛ سليم طه التكريتي: بيت الحكمة في بغداد وازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي (مجلة المورد، العدد الرابع، مجلد الثامن، بغداد ١٩٧٩م)، ص ١٩٩.

السنين، وربما أكثر، وهذه يمكن تجاوزها إلى مرحلة أحدث تؤكدها الآثار وبقايا المساكن القديمة[١]، والمرجح أن مزايا موضع وموقع المدينة كمدينة صحراوية لم تكن لتضمن لها كمدينة الاستمرار والتميز الذي قدر لها أن تعرفه بدون هجرة الرسول ﷺ إليها، وما أعقب ذلك من بزوغ وظيفتها الدينية، التي ضمنت لها الاستمرار والبقاء، ولولا ذلك، ربما ظلت محدودة الشأن، أو ربما انتهت تاريخيًا، شأن العديد من المدن المعرفية التاريخية من محطات الطريق القديم، أو تدهور حالها مثل «زبيد، تيماء، البتراء، خيبر، الأيلة، معان»، والأرجح أنها – بفضل مزايا موضعها الجغرافي – كانت ستظل مجرد واحة صحراوية[٢].

١- العوامل الدينية:

المتتبع لتاريخ المدينة المنورة يدرك أنها أصبحت المدينة المعرفية الأولى في التاريخ الإسلامي المبكر، ولاشك أن هذه الفترة – التي استمرت نحو ثلاثين سنة – تمثل قمة الوجود التاريخي لهذه المدينة إلى أن صارت المدينة قبلة علمية يؤمها العلماء وطلبة العلم للاغتراف من معينها الصافي، حيث كانت هجرته ﷺ إيذانًا بقيام نهضة علمية ومعرفية وحياة جديدة وتصورات مخالفة لما كانوا عليه قبل

(١) عمر الفاروق السيد رجب: المدينة المنورة اقتصاديات المكان، السكان، المورفولوجية (ط١، دار الشروق، جدة ١٩٧٩م)، ص ١٦١.
(٢) المرجع السابق، ص ١٦٣.

الهجرة. فحولت العرب من أمة تعيش على هامش التاريخ، إلى أمة راعية للعلوم والمعارف بفضل دعوة الإسلام إلى العلم، وحض القرآن الكريم على ضرورة التعليم، وكانت آيات أول سورة، وهي سورة «العلق» تدعو إلى ذلك كذلك حضت آيات أخرى على العلم والتعلم، وأعلت مكانة المتعلمين في المجتمع الإسلامي، وحثت بعض أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام على طلب العلم، وجعلته فريضة على كل مسلم، ومن المعروف أن الإسلام جاء وفي قريش سبعة عشر رجلا فقط يعرفون القراءة والكتابة، لذلك جعل رسول الله ﷺ في غزوة بدر فداء بعض أسرى المشركين نظير أن يعلم الأسير عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة[1].

وقد بدأت حركة التعليم والتعلم في الدولة الإسلامية منذ قيامها، وتطورت مراكز النقل فيه، وخرجت جماعة من أعاظم الرجال العلماء الذين علموا وخرجوا من تحت أيديهم أجيالا من الفقهاء والعلماء وكبار المفكرين. وكانت عناية المسلمين في صدر الإسلام مقصورة على العلوم الدينية والشرعية لما كان لتعاليم الدين من أولوية آنذاك، ومع قيام الدولة الأموية اهتم المسلمون إلى جانب العلوم الدينية بالعلوم الأخرى، وقد بلغت الحركة العلمية ذروتها في المجالين النقلي والعقلي في العصر العباسي الأول وأسهم عدد كبير من علماء المدينة أو الوافدين عليها ممن اشتهروا بإلمامهم بالعلوم النقلية (العلوم الدينية،

(١) المرجع نفسه، ص ١٦٤،١٦٣؛ محمد العيد الخطراوي: المدينة في صدر الإسلام الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، كتاب العربية، العدد ١٢٣الرياض ٢٠١٣م)، ص ١١، ١٢.

والعلوم اللغوية، والتاريخ) خاصة وقد شاء الله أن تكون المدينة هى المركز العلمي الأول لجميع علوم الإسلام وعن ذلك يقول السخاوي: فأما المدينة فكان العلم وافرًا فيها في زمن الصحابة من القرآن والسنن، وفي زمن التابعين كالفقهاء السبعة[١] ، ثم عبد الله بن عمر، وابن أبي ذئب، وابن عجلان، وجعفر الصادق، ثم مالك الإمام، ومقرئها نافع، وإبراهيم بن سعد،وسليمان بن بلال، وإسماعيل بن جعفر، ثم تناقص العلم جدًا بها في الطبقة التي بعدهم، ثم تلاشى"[٢] . لذلك ظل الكثيرون ومنذ القرن الأول يفضلون علم أهل المدينة، ويرجحونه على علم غيرهم من الأمصار الأخرى، قال زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ): «إذا رأيت أهل المدينة على شئ فاعلم أنه السنة»[٣] ، ويروى أن نافع بن أبي نعيم

(١) الفقهاء السبعة: القاسم بن محمد (ت ٩٤هـ / ٧١٢م)، وسعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ / ٧١٢م)، عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ/ ٧١٢م)، أبو بكر بن عبد الرحمن (ت ٩٤هـ / ٧١٢م)، وخارجة بن زيد (٩٩هـ / ٧١٧م)، وسليمان بن يسار (ت ١٠٧هـ / ٧٢٥م)، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة (ت ١٠٢هـ / ٧٢٠م). الذهبي: السير، ج ٤، ص ٤٣٨)؛ عبد الرحمن أحمد حفظ الدين المصنف : الحياة العلمية في الحجاز في القرنين الثالث والرابع الهجريين (رسالة دكتوراة – غير منشورة – جامعة صنعاء، كلية الآداب ٢٠٠٣م)، ص ٢٨.

(٢) السخاوي، شمس الدين محمد عبد الرحمن، (ت ٩٠٢هـ): الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: فرانز روزنثال، ترجم التعليقات والمقدمة: صالح أحمد العلي،بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٢٩١، ٢٩٢؛ عبد الرحمن المصنف : الحياة العلمية، ص ٢٨.

(٣) القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذاهب مالك، (تحقيق أحمد بكير محمود، مكتبة الحياة، بيروت ١٤٠١هـ) ١/ ٦١؛ عبد الرحمن المصنف : الحياة العلمية، ص ٢٨.

(ت ١٦٩هـ) قال:«سألت مالكًا عن شيء، فقال لي: إن أردت العلم فأقم – يعني المدينة – فإن القرآن لم ينزل على الفرات[١] ، وقال مالك أيضًا: قراءة أهل المدينة سنة، قيل له قراءة نافع ؟ قال: نعم، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): سألت أبي، أيُّ القراءة أحب إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة»[٢] .

ومما يؤكد على ترجيح وتفضيل علماء أهل المدينة على غيرهم من علماء الأقطار الإسلامية الأخرى على مستوى العامة وعلى مستوى أولياء أمور المسلمين – الخلفاء وغيرهم – وأصبح معتقدًا لا يمكن التراجع عنه، فأثبتوا وبرهنوا على ذلك من خلال تشجيعهم لعلماء المدينة –كونهم أهلا لهذا الأمر – فيروي أبو مصعب الزهري (ت ق٣هـ) حوارًا بين أبي جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ) – الخليفة العباسي – والإمام مالك عالم المدينة في عصره، قال لمالك: اجعل هذا العلم علمًا واحدًا. فقال له مالك: إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في البلاد، فأفتى كل في مصره بما رأى، فلأهل المدينة قول، ولأهل العراق قول، تعدوا في طورهم، فقال المنصور: أما أهل العراق فلست أقبل منهم صرفًا ولا عدلاً، وإنما العلم علم أهل المدينة، فضع للناس العلم"[٣] .

---

(١) المصدر السابق ١/ ٦٣؛ عبد الرحمن المصنف : الحياة العلمية، ص ٢٩.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٩٠؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت ٧٤٨ه، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٧م، ١/ ٥٢، ٦٤.

(٣) ابن فرحون (إبراهيم بن علي بن محمد المالكي ت٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، (تحقيق: محمد الأحمدي، مكتبة التراث، القاهرة ١٩٩٩م)، ٢/ ٦.

فكانت المدينة المنورة تزخر بالعلم والعلماء الكبار المتقدمين على من سواهم من علماء الأقطار الإسلامية الأخرى مما جعل حملة العلم – علماء وطلاب– يتدفقون على المدينة من الأقطار الإسلامية الأخرى؛ لينهلوا من علمائها.

أ- علم القراءات:

وبذلك ظلت حلق ومجالس العلم في المدينة تغص بطلاب العلم من تلاميذ علماء الإسلام الكبار، الأمر الذي جعل أولئك التلاميذ يصبحون خير خلف لخير سلف في استمرار النشاط العلمي في المدينة خاصة وسائر البلدان الإسلامية الأخرى عامة، فمضوا على المنوال نفسه الذي اتبعه معلموهم، فاشتهر كثير منهم في مختلف العلوم منذ القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري. واشتهرت المدينة بريادتها في علم القراءات[1] ومن علماء هذا العلم الذين أسهموا في إثراء الحركة العلمية في العصر العباسي ونشروا علم القراءات: عيسى بن وردان الحذاء أبو الحارث المدني (ت في حدود ١٦٠ هـ) قرأ على

(١) القراءات: هى وجوه تلقى النص القرآني، واصطلح على تسميته هذه الأوجه المقروءة بالحروف، والحروف: هى وجوه القراءات واختلافها بين القراء.
للمزيد انظر/ القلانسي (أبو العز محمد بن الحسين ت ٥٢١هـ)، إرشاد المتدئ وتذكرة المنتهى في القراءات العشر، (تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، مكتبة الفيصلية، مكة ١٤٠٤هـ)، ص ١٠؛ سعد موسى الموسى: تاريخ الحياة العلمية في المدينة النبوية خلال القرن الثاني الهجري، (دار القاسم، الرياض ١٤٢٨هـ)، ص ١٢٣.

أبي جعفر القارئ[١] ، وشيبة بن نصاح [٢] ، وهو إمام حاذق وراوٍ محقق ضابط، وهو ممن تعلم قديمًا على يد نافع [٣] ، وكانت طريقته للإقراء جيدة ومناسبة لحفظ كتاب الله وإجادته، وكانت معروفة بين قراء المدينة ولها شهرة إذ كانت طريقته أسهل من طريقة مسلم بن جندب، وأخف على الطالب[٤] .

---

(١) أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت ١٢٧هـ) أحد القراء العشرة، أخذ القراءة عن ابن عباس، وابي هريرة، وعبد الله بن عياش، وتصدر للإقراء بالمدينة مدة طويلة، وكان يجلس في مسجد النبي ﷺ، وكان لا يتقدمه أحد في عصره، وكان يصلى خلف الإمام في صلاة التروايح في رمضان، يصحح للإمام إذا أخطأ، وكان ذلك بأمر، وكأن هذا منصب شغله حتى توفى رحمه الله، قال يحيى بن معين: كان إمام أهل المدينة في القراءة فسمى القارئ. للمزيد انظر/ ابن مجاهد (أحمد بن موسى بن العباس التميمي ـ ٣٢٤هـ)، كتاب السبعة في القراءات (تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٤٠٠هـ)، ص ٥٦؛ ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق ت ٤٣٨ هـ)، الفهرست، (تحقيق: رضا تجدد، مكتبة الأسدي، طهران ١٣٩٠هـ)، ص٣٣؛ الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ن ٧٤٨هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار (تحقيق: بشار عواد، وأخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ) ج١، ص ٧٢؛ ابن الجزري (عبد القادر بن محمد بن عبدالقادر الأنصاري، ت٨٣٣هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، (دار الباز، مكة ١٤٠٠هـ)، ج٢، ص ٣٨٢؛ سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص ١٢٦.

(٢) شيبة بن نصاح (ت ١٣٠هـ) قال ابن سعد: كان إمام أهل المدينة في القراءة في دهره هو وأبو جعفر يزيد بن القعقاع، وهو أحد شيوخ نافع في القراءة، وقد أدرك عائشة، وأم سلمة أمي المؤمنين، ودعتا الله أن يعلمه القرآن، وقُدم ليصلى على سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب بعد موتها لفضيلة القرآن. للمزيد انظر/ النديم، الفهرست ص ٣٣؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار ١/ ٧٩، ابن الجزري، غاية النهاية ١/ ٣٢٩، ٣٣٠؛ سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص ١٢٦.

(٣) الذهبي: معرفة القراء، ١/ ١١١؛ ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ١/ ٦١٦.

(٤) سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص ١٢٧.

أما نافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩هـ) فقد كان إمام دار الهجرة في القراءات، وكان فصيحًا عالمًا بالقراءات ووجوهها، قرأ على سبعين من التابعين[١] وسماه الذهبي: «حبر القرآن»[٢] وانتهت إليه رياسة القراءة بالمدينة، وظل يقرئ الناس أكثر من سبعين سنة، واشتهرت قراءته بين الناس، وتمسكوا بها، حتى قال مالك وابن وهب «قراءة نافع سُنة»[٣] ولنافع عدد من المؤلفات في فن القراءات مثل كتاب عدد المديني الأول، وكتاب العدد الثاني، وكتاب عواشر القرآن، وله كتاب القراءة، وهو أحد الأئمة السبعة في القراءات[٤].

وعاش في المدينة إسماعيل بن جعفر بن كثير الأنصاري أبو إسحاق (ت ١٨٠ ببغداد) أخذ القراءة عرضًا عن شيبة بن نصاح، ثم عرض على نافع، وعيسى بن وردان، وبرع في القراءة، ونزل بغداد ونشر علمه بها وأقرأ بها، وأخذ عنه القراءة في بغداد كبار قرائها المشهورين كالكسائي، وأبي عبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت ٢٢٤هـ)، وأبو عمر الدوري، وأبو خلاد النحوي، وغيرهم.

---

(١) ابن مجاهد، كتاب السبعة، ص ٦٢ ؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار ١/ ١٠٧؛ ابن الجزري، غاية النهاية ٢/ ٣٣٠؛ سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص ١٢٧.

(٢) الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنأووط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ)، ٧/ ٣٣٦.

(٣) ابن مجاهد: كتاب السبعة، ص ٦٢؛ الذهبي: معرفة القراء ١/ ١٠٧؛ غاية النهاية ٢/ ٣٣٠؛ سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص١٢٧.

(٤) المصدر سابق، ص ٥٣؛ الموسى، مرجع سابق، ص ١٢٨.

وهؤلاء جميعًا أسهموا في إثراء الحركة العلمية في مجال علم القراءات إلى جانب آخرين كان لهم باع لا يقل كل منهم قدرة وعلمًا مثل جعفر بن محمد بن علي الإمام الصادق (ت ١٤٨هـ)، وعبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان أبو محمد بن أبي الزناد (ت ١٦٤هـ)، وسليمان بن مسلم بن جماز أبو الربيع الزهري (ت ١٧٠هـ)، ويحيى بن محمد بن قيس أبو الزكير الزيات المدني تلميذ نافع، وصفه زكريا بن يحيى الساجي: بأنه صاحب قراءات[١] واستمر المسجد النبوي يؤدي دوره المهم في الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الحجاز خلال العصر العباسي وأسهم في تطوير الحركة العلمية فكريًا وحضاريًا، وقد ذكر لنا ابن جبير موضحًا استمرار حلقات العلم، وما يدور فيها من علوم دينية مختلفة، وأهم هذه العلوم، علم القراءات، وتفسير القرآن، والحديث الشريف، والفقه، والعلوم العربية [٢] ، ولاشك أن وجود علماء القراءات في مكة والمدينة ممن وفدوا على بلاد الحجاز من أقطار الإسلام للحج والجوار، وعملوا على إقراء

(١) ابن الجزري: غاية النهاية ١/ ١٩٦،٣٠٣، ٣١٥، ٣٧٢، ٣٧٩؛ ٢/ ٣٥؛ الموسى: مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٢) ابن جبير: أبو الحسين محمد بن أحمد الكنانى، رحلة ابن جبير، تقديم: محمد مصطفى زيادة، طبعة بيروت، ١٩٦٨، ص ٦٩؛ سليمان عبد الغني مالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري (رسالة دكتوراه – غير منشورة - كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، القاهرة ١٤٠١ هـ)، ص ٢٩٧.

الناس القرآن[1] ، وشرح مؤلفاتهم العديدة في علم القراءات خاصة، ساعد على تباين القراءات واختلاف وجودها في المدينة، مما أفسح المجال أمام الراغبين والشغوفين في التوسع العلمي في هذا المجال[2] .

ب- علم التفسير :

وممن اشتهروا بعلمهم في المدينة في علم التفسير زيد بن أسلم (ت ١٣٦هـ) الإمام مولى عمر رضي الله عنه، كانت له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ وكان عالمًا بالتفسير وأعلم أهل المدينة بتأويل القرآن بعد محمد بن كعب القرظي[3] . وكان لزيد تفسير بالمأثور اعتمد عليه عدد من المفسرين. كذلك اشتهر من أهل المدينة عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت ١٨٢هـ) وكان صاحب قرآن وتفسير وجمع تفسيرًا في مجلد وكتابًا في الناسخ والمنسوخ. إضافة إلى الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)، ونافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩هـ)، وصالح بن

---

(١) مشعل نايف عايض الدهاس: الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين دراسة تاريخية حضارية (رسالة ماجستير - غير منشورة – جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٨م)، ص ٢٠٤.

(٢) عبد الرحمن المصنف: الحياة العلمية، ص ١٩٥.

(٣) يوسف بن عبد الله النمري (ت٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (تحقيق: محمد التائب السعيدي، (وزارة الأوقاف المغربية، الرباط ١٤٠٢هـ)، ٣/ ٢٤٠ ؛ الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص١٣٤.

كيسان (ت ١٣٩هـ)[١] ، ويحيى بن سعيد الأنصاري (ت ١٤٣هـ)، وهشام بن عروة بن الزبير (ت ١٤٨هـ)، ومحمد إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ)[٢] وإبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عوف (ت ١٨٤هـ) وغيرهم[٣] .

واشتهر الكثير من التابعين وتابعيهم في الحجاز، ممن اقتفوا أثر الصحابة وتمكنوا من الإلمام التام بعلم التفسير، مما أدى إلى ظهور العديد من المبرزين في علم التفسير من الحجازيين والوافدين ممن نهل عمن تم ذكرهم سلفًا، وكذلك ممن تناقله من حملة العلم الحجازيين والوافدين، وأسهموا في تطور علم التفسير في المدينة عن طريق إقامتهم الحلقات والمجالس في الحرم النبوي الشريف فضلا عن قيامهم بتصنيف العديد من الكتب المختصة بهذا العلم وشرحها على طلبة العلم المهتمين والراغبين في معرفة وإتقان علم التفسير. مثل: أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي (ت ٢١٩هـ) الذي صنف كتابًا في التفسير تداوله الكثير من حملة العلم والوافدين، والإمام عبد الرزاق الصنعاني اليمني (ت ٢١١هـ) ألف كتابًا في التفسير استفاد منه حملة العلم في الحجاز واليمن وغيرهما، والإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي (ت٢٥٥هـ) الذي رحل إلى مكة والمدينة وتتلمذ على العلماء

---

(١) ابن حجر العسقلاني (أحمد بن على ت ٨٥٢هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري (تحقيق: محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان، القاهرة ١٤٠٧هـ)، ٩/ ١٠٨، ١٣٢، ١٧١، ٢١٣، ٢١٧، ٣٠٩؛ سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص ١٣٦.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ٩/ ٣٠٩؛ سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص ١٣٦.

(٣) المصدر السابق، ٩/ ٣٠٩، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧؛ الموسى، مرجع سابق، ص ١٣٦.

الموجودين في الحرمين الشريفين، مما أهله لأن يكون أحد علماء التفسير في القرن الثالث الهجري[١].

وكثرة هؤلاء المفسرين تؤكد القول على أن التفسير بالمأثور أي بالسنة وقول الصحابة والتابعين كان طابع التفسير في المدينة، وهو ما تفردت به المدينة عن سواها من الأمصار فتفقه على أيديهم خلق كثير ارتحلوا إلى المدينة وأخذوا عنهم[٢].

ج- علم الحديث:

أما الحديث[٣] فقد ظلت الحركة العلمية في المدينة في العصر العباسي سائرة سيرها في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، وكان أكثر ما عُرف عن مدرستي مكة والمدينة الحديث والفقه[٤]. فقد كان للمدينة حظ كبير في ذلك، وقلَّ أن تجد حديثًا بالشام أو العراق؛ إلا ومصدره المدينة من أحد الصحابة أو

(١) المصنف: مرجع سابق، ص ١٩٦، ١٩٧.

(٢) الموسى: مرجع سابق، ص ١٣٦، ١٣٧.

(٣) **ينقسم علم الحديث إلى قسمين:**

أ- علم الحديث رواية: وهو العلم الذي يقوم على نقل ما أضيف إلى النبي ﷺ، من قول أو فعل أو صفة خُلقية، أو خَلقية نقلا دقيقًا محررًا.

ب- علم الحديث دراية: وهو معرفة القواعد المعرفة بحال الراوي والمروي. انظر: محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحاته، دار الفكر، بيروت ١٣٩١هـ، ص ٧.

(٤) صبحي عبد المنعم محمد: العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، (العربي للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٣م)، ص٣٢٩.

التابعين الذين رحلوا إلى تلك البلاد، الجدير بالذكر أن عددًا من علماء المدينة كانوا يعملون ببغداد عاصمة الدولة ومقر العلماء، وتعلم الحديث على يد المدنيين أبو يوسف[١] ، وغيره من علماء بغداد[٢]. وشهدت المدينة في تلك الفترة تطورًا كبيرًا في علم نقد رجال الحديث، وكانت مدرسة المدينة هى الرائدة في مجال النقد[٣]. ومن أبرز علماء الحديث في العصر العباسي سهيل بن أبي صالح السمان (ت١٤٠هـ) وهو إمام محدث اشتهر بين الناس بصدق الرواية، وكان من كبار الحفاظ، وعاصره صالح بن كيسان (ت١٤٥هـ) الإمام الحافظ الثقة الجامع بين الحديث والفقه، وهو كثير الحديث مجمع على توثيقه[٤] . واشتهر في المدينة يحيى بن سعيد الأنصاري (ت ١٤٣هـ)، تتلمذ

(١) ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ت ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى (جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، آخر، دار العربية، بيروت ١٣٩٨م)، ٢٠/ ٣٠٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٥/ ١٨٧؛ وقال المباركفوري في مقدمة تحفة الأحوذي ١/ ٣٢، وكانت طريقة أهل الحجاز في الأسانيد أعلى ممن سواهم وأمتن في الصحة؛ لاشتدادهم في شروط النقل من العدالة والضبط.

(٣) النقد عند المحدثين: هو تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، والحكم على الرواة ثوثيقًا وتجريحًا. وقد بدأ هذا العلم في عهد النبي ﷺ، ولكن على نطاق ضيق جدًا، وكان أبو بكر رضي الله عنه يحتاط في قبول الأخبار. الحاكم، أبي عبد الله النيسابوري، ت ٤٠٥هـ، المدخل في أصول الحديث، مكتبة المعارف، الطائف، ضمن مجموعة الرسائل الكمالية في الحديث، ص ١١٣؛ محمد مصطفى الأعظمي: منهج النقد عند المحدثين (ط٢، الرياض ١٤٠٢هـ)، ص ١٠؛ سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص ١٤١.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ٦/ ٨٦؛ سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص ١٥٢.

على الفقهاء وصار إمامًا علامة عالم المدينة في وقته وشيخ عالمها مالك، كان مجودًا للحديث[١] ، ولم يكن هناك من يوازيه في علمه وفضله بعد كبار التابعين سوى الزهري، وهو على رأس محدثي الحجاز[٢]، ووجدنا هشام بن عروة بن الزبير (ت ١٤٨ هـ) أحد الفقهاء السبعة في زمانه تحول من المدينة إلى العراق، وصحب الخليفة المنصور[٣]، كثير الحديث، وإبراهيم بن سعد (١٠٩-١٨٣هـ) الإمام الحافظ المحدث الكبير جمع كثيرا من الحديث والمغازي وغيرها، وإبراهيم بن محمد بن يحيى الأسلمي (١٠٠- ١٨٤هـ) الشيخ العالم المحدث أحد الأعلام المشاهير إلى جانب عدد آخر من الرواد في علم الحديث مثل: عبيد الله بن عمر العمري (ت ١٤٧هـ)، ومحمد بن إسحاق (ت١٥١هـ) والإمام الحافظ صاحب التصانيف منها «كتاب السنن» ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب (ت ١٥٨هـ)، وأبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة (ت ١٦٢هـ) الذي كتب لابن جريج عالم الحديث المكي ألف حديث من أحاديثه الجياد[٤] وأنس بن عياض (ت ٢٠٠هـ)، محدث المدينة النبوية[٥] .

(١) الذهبي، السير ٥/ ٤٦٨.
(٢) سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص١٥٣.
(٣) الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد (دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٤هـ)، ١٤/ ٤١؛ سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص ١٥٣.
(٤) سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص ١٥٧.
(٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٣. سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص١٥٧.

وممن اشتهروا بعلمهم في المدينة في القرن الثالث الهجري، عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون (ت ٢١٤هـ) والذي دارت عليه الفتوى في أيامه فكان مفتى أهل المدينة في زمانه[١] ، فتفقه عليه خلق كثير وأئمة جلة[٢] ، بل أصبحت شهرته العلمية تتعدى قطره إلى سائر الأقطار الأخرى، فرحل إليه الكثير، وأخذوا عنه علومه المختلفة، بل لقد أصبح بعض من علماء الأمصار البعيدة عن المدينة، والذين كانت شهرتهم العلمية تملأ بلدانهم يتمنون الرحلة إليه للاستفادة منه ومن توجيهاته في هذا الشأن، فلقد أثنى عليه عالم المغرب الشيخ سحنون (ت٢٤٠هـ) وفضله فقال: «هممت أن أرحل إليه وأعرض عليه هذه الكتب فما أجاز منها أجزت، وما رد رددت»[٣] ويقول عنه أحد تلامذته واصفًا في ذلك مكانته العالية في العلوم اللغوية: كلما تذكرت أن التراب يأكل لسان عبد الملك صغرت الدنيا في عيني"[٤] . وإسماعيل بن أبي أويس المدني (ت ٢٢٦هـ) كان عالم أهل المدينة ومحدثهم في زمانه[٥] قيل لأحمد بن حنبل: من بالمدينة اليوم ؟ فقال: إسماعيل بن أبي أويس، وهو عالم كثير العلم[٦] .

(١) الذهبي : السير ١٠/ ٣٥٩، ابن فرحون، الديباج المذهب ٢/ ٦.
(٢) ابن فرحون: الديباج،٢/ ٧.
(٣) الديباج ٢/ ٧؛ المصنف، ص ٣٠.
(٤) الذهبي: السير ١٠/ ٣٦٠.
(٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ ١/ ٤٠٩؛ عبد الرحمن المصنف : الحياة العلمية، ص ٣٠.
(٦) ابن عبد الهادي: الطبقات ٢/ ٥٠، ٥١؛ عبد الرحمن المصنف : الحياة العلمية، ص ٣٠.

وفي القرن الرابع الهجري ظهر على الأفق انحسار تدريجي للنشاط العلمي في المدينة، خاصة بين العلماء المدنيين أنفسهم، وذلك لتوزعهم في الأمصار الإسلامية الأخرى، مما يؤكد على ذلك ما ذكر في بعض المصادر عن علمائها – المدنيين – حيث أوضحت أن أغلبهم خرجوا من المدينة إلى بعض الأقطار الأخرى، وزاولوا أعمالهم في الأقطار التي استقروا فيها، فمنهم من عمل في مجال الإدارة، ومنهم من عمل في مجال التجارة، إضافة إلى ما كانوا يقومون به من نشر العلم في تلك الأقطار، نذكر منهم: أحمد بن محمد، أبو بكر القرشي التيمي (٣١٤هـ) الذي ولد بالمدينة ونشأ بالحرمين، وسكن البصرة، ثم أصبهان، ثم الري، ثم نيسابور، وتوفي بمرو[١] . ومحمد بن إسماعيل بن القاسم بن طباطبا، أبو عبد الله الحسيني المدني (ت ٣١٥هـ) والمعروف بأن أصله من قرية الرس بنواحي المدينة، ومات بمصر[٢] ، وكذا محمد بن الحسن بن على الأنصاري المديني (ت ٣١٥هـ) يذكر أنه حدث بمصر عن الزبير بن بكار بكتاب النسب له[٣] . وكانت أرض مغرب بلاد الإسلام من مصر وما بعدها أرضًا جاذبة للعلماء النازحين من المدينة المنورة مثل أحمد بن محمد بن إسماعيل بن طباطبا أبو القاسم الرسي (ت ٣٤٥هـ)، وكان بمصر، وكان له

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ١/ ١٤٢.
(٢) المصدر السابق، ٢/ ٤٥٠؛ المصنف، مرجع سابق، ص ٣١.
(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ٢/ ٤٥٠.؛ المصنف: مرجع سابق، ص ٣٢.

أشعار كثيرة ومستحسنة في الزهد وفي غيره، وكان نقيب الطالبيين، ثم ولي ابنه إبراهيم بن أحمد بن محمد، أبو إسماعيل ابن أبي القاسم العلوي (٣٦٩هـ) نقابة الأشراف بعد موت أبيه بمصر. وعبد الله بن بكر بن المثنى، أبو العباس السهمي المدني (ت ٤١٧هـ) والذي اشتهر بروايته الواسعة، قدم الأندلس مع والده تاجرًا إلا أنه قام بنشاط علمي هناك حيث أخذ الناس هناك عنه الحديث[١].

د- علم الفقه:

شهدت المدينة المنورة توسعًا في الدراسات الفقهية، وكثر الفقهاء فيها، وجمع كثير منهم بين القراءة، والتفسير، والحديث والفقه، ولكن اشتهر بعضهم بالفقه دون غيره من العلوم ومن علماء المدينة في العصر العباسي الأول: ربيعة بن أبي عبد الرحمن مولى آل المنكدر التيميين المعروف بربيعة الرأي (٦٥-١٣٦هـ) مفتى أهل المدينة وشيخهم وإمامهم[٢] كان من أئمة الاجتهاد[٣] عُرف بالرأي، ولكنه لم يكن يتوسع كأهل العراق، وكانت له حلقة بالمسجد النبوي جلس فيها وجوه الناس وأُحصى المعتمون فبلغوا أربعين[٤] ، وعبر السخاوي

(١) المصنف : مرجع سابق، ص ٣١.
(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٥٧ ؛ الموسى: مرجع سابق، ص ١٧٧ .
(٣) الذهبي، السير، ص ٦، ٨٩؛ الموسى:مرجع السابق، ص ١٧٧ .
(٤) المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٢؛الموسى، مرجع السابق، ص ١٧٨ .

عن عظم مكانته وأن ترجمته الحافلة بالأحداث والعلم تصل إلى عدة كراريس، ومن آثاره: «كتابه إلى الليث بن سعد، كتابه إلى مالك بن أنس، وكتابه إلى سليمان بن بلال»[١] .واشتهر في المدينة محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب (٨٠ – ١٥٩هـ) كان ثقة فاضلا قوالا بالحق مهيبًا ورعًا عابدًا[٢] حتى وصل الأمر إلى مجاهرته بأن أمير المدينة (عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي)[٣] ، ظالم، وفي إحدى حجاته لقي الخليفة أبا جعفر المنصور فجادله من أجل التوسيع على المسلمين[٤] . وقد ألف كتابًا سماه الموطأ، وهو قبل موطأ مالك، ولكنه لم يشتهر، وقيل ألف كتابًا كبيرًا في السنن[٥] ، وممن اشتهر بالمدينة عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون (ت ١٦٤هـ)، وكان من أئمة الفقهاء المفتيين مع الفصاحة وعظم الشأن، عاصر الإمام مالكًا، وكان مقاربًا له في العلم. وذكرت له بعض

(١) التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٥٧؛ وللمزيد راجع، محمد مصطفى الأعظمي: دراسات في الحديث النبوي، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ)، ١/ ١٧٧؛ سعد الموسى، الحياة العلمية، ص ١٧٩.

(٢) الذهبي، السير، ج ٧، ص ١٣٩؛ ابن سعد الطبقات، القسم المتمم، ص ٤٢٠، سعد الموسى، الحياة العلمية، ص١٧٩.

(٣) وليَّ المدينة ثم البصرة، ت ١٨٥هـ ببغداد، انظر / تاريخ بغداد ٢/ ٢٩٩؛ السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/ ٢٠؛ سعد الموسى، مرجع سابق، ص ١٧٩.

(٤) الموسى، مرجع سابق، ص ١٨٠.

(٥) الذهبي، السير ٧/ ١٤٧، ص ١٤٩؛ الموسى، مرجع سابق، ص ١٨٠.

المؤلفات في الأحكام رواها عنه ابن وهب، وعبد الله بن صالح وغيرهما، كرسالته في الرد على الجهمية، وكتاب الموطأ، واستفاد الإمام مالك منه في تأليف الموطأ[١] . إضافة إلى وجود الإمام الفقيه الحافظ عبد الرحمن بن أبي الزناد (١٠٠ – ١٧٤هـ) وكان من كبار علماء المدينة وأوعية العلم، ساهم وجوده على زيادة الهجرة إلى المدينة طلبًا للعلم على يديه قال موسى بن سلمة:«قدمت المدينة فأتيت مالكًا. فقلت له: إني قدمت المدينة لأسمع العلم، فمن تأمرني به ؟ فقال: عليك بابن أبي الزناد». وهو من المفتين بالمدينة[٢] . ولمع من فقهاء المدينة الإمام مالك بن أنس الأصبحي (٩٣ – ١٧٩هـ) أحد الأئمة الأربعة، وصاحب المذهب المتبع المعروف، شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة [٣] نجم السنن[٤] وهو إمام الفقه، والحديث، والتفسير، والتوحيد، وقد شهد له بذلك عدد من الأئمة، وكان من كبار المجتهدين في المدينة والعالم الإسلامي في عصره، وكتابه الموطأ يعتبر مفتاحًا للمجتهد[٥] وبلغ الإمام مالك منزلة عظيمة في الفتوى حتى ضرب به المثل فقيل: «لايُفتى

(١) الأعظمي: دراسات في الحديث ١/ ٢٨٠؛الموسى، مرجع سابق، ص ١٨٢.
(٢) الذهبي، السير ٨/ ١٦٨؛ السخاوي، التحفة اللطيفة ٢/ ٤٨٧؛ سعد الموسى، مرجع سابق، ص ١٨٢.
(٣) الذهبي، المصدر السابق،ص٤٣.
(٤) السخاوي، التحفة اللطيفة، ٨/ ٤٤٣؛ سعد الموسى، الحياة العلمية، ص ١٨٣.
(٥) عمر الأشقر، تاريخ الفقه الإسلامي، (الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠٢هـ)، ص ٩٩.

ومالك بالمدينة» بل عده بعض العلماء هو المعنى بحديث رسول الله ﷺ: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدًا أعلم من عالم المدينة»[(١)] .وقد كانت حلقته العلمية بالمسجد النبوي من أكبر الحلقات يأتيها طلاب العلم من كل مكان ليأخذوا عنه العلم، وكان عدد الطلاب لديه كبير جدًا حتى أن السلاطين كانت تهابه فكان يقول بحلقاته لا، ونعم، ولا يقال له من أين هذا[(٢)] وكان الحكام يأخذون برأيه فعندما أراد الرشيد خلع درجات منبر الرسول ﷺ أخذ برأي مالك بتركها، وعدم نزعها لتهالكها من عوامل الزمن فتركها الرشيد على حالها، وعندما حج الرشيد استمع منه الموطأ[(٣)] في حلقته، واشتهر من أصحاب مالك الإمام الفقيه عبد العزيز بن أبي حازم، سلمة بن دينار (ت ١٨٤هـ) وكان من الطبقة الأولى من أصحاب مالك وأكد مالك على حسن تفقهه[(٤)] ، محمد بن إبراهيم بن دينار (ت ١٨٢هـ) قال الشافعي: ما رأيت في فتيان مالك أفقه من محمد بن دينار[(٥)] ، واشتهر في المدينة

(١) مسند الحميدي:٢/ ٤٨٥ ح١١٤٧مسند أحمد:٢/ ٢٩٩ ح٧٩٦٧ سنن الترمذي:٥/ ٤٧ ح٢٦٨٠. قال أبو عيسى هذا حديث حسن المستدرك على الصحيحين:١/ ١٦٨ ح٣٠٧. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه سنن البيهقي الكبرى:١/ ٣٨٥ ح١٦٨١.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١١/ ٣٢١، ٣٢٢.

(٣) المصدر السابق، ١١/ ٣٢١.

(٤) الشيرازي «أبو اسحاق إبراهيم بن علي، ت ٤٧٦هـ»: طبقات الفقهاء (هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور «ت ٧١١هـ»، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٧٠)، ١/ ١٥٢.

(٥) المصدر السابق ١/ ١٤٦.

عبد الله بن نافع الصائغ (١٢٥-٢٠٦هـ) مولى بني مخزوم المعروف بالصائغ كنيته أبو محمد من كبار فقهاء المدينة، المفتين بها،وكان أصم أميـًا لا يكتب. روى عنه سحنون، قال: صحبت مالكـًا أربعين سنة ما كتبت عنه شيئـًا وإنما كان حفظـًا أتحفظه[١] . حفظ فقه مالك لشدة ملازمته له طول هذه المدة التي بلغت أربعين عامًا[٢] قال ابن وضاح: كان أفضل أصحاب مالك في العبادة المصريين والاسكندرايين، وكان ابن نافع رجلاً صالحـًا لكن هؤلاء فوقه. قال محمد بن سعيد: لزم مالكـًا لزومـًا شديداً[٣] . روى عنه مالك وابن أبي ذئب، وحسين ابن عبد الله وابن أبي الزناد وتفقه بمالك ونظرائه. قال أحمد بن حنبل: كان صاحب رأي مالك، وفقه أهل المدينة برأي مالك[٤] . وقد تتلمذ عليه سحنون، ويحيى بن يحيى الليثي وغيرهما، وهذا القرن غنى بفقهائه الذين كانت تعج بهم مدينة المصطفى ﷺ[٥] ولمع فيها عدد من الفقهاء خاصة في القرنين الثالث والرابع الهجريين منهم: الإمام عبد الله بن نافع القرشي المدني (ت ٢٠٦هـ) الذي عُد من كبار فقهاء المدينة، ولكونه برع في الفقه وعلومه، مما أهله لأن يكون مفتى أهل المدينة في عصره، وأخوه عبد الله بن نافع – الأصغر – (ت ٢١٦هـ) الذي

(١) المصدر نفسه ١/ ١٤٧.
(٢) الطبقات ٥/ ٤٣٨؛ الموسى، الحياة العلمية، ص ١٨٩.
(٣) ترتيب المدارك ٣/ ١٣٠.
(٤) المصدر السابق، ٣/ ١٢٨.
(٥) الموسى، مرجع سابق، ص ١٩١، ١٩٢.

تفقه بالإمام مالك، وعبد العزيز بن أبي حازم وغيرهما، فصار المنظور إليه من قريش بالمدينة في فقهه[١] ، والإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) الذي تفقه على مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة في زمنه، ورحل إلى المدينة للنهل من علوم فقهائها كالإمام مالك، والذي أقام عنده حتى وفاة مالك بالمدينة، ثم أخذ عن علماء المدينة بعد مالك، فصار بعد ذلك من علماء الإسلام المعدودين ذوي الشهرة في علم الفقه[٢] . وفي تلك الفترة برز الكثير من فقهاء المدينة واتضح ذلك خلال تقلدهم منصب الإفتاء في مكة والمدينة، كيوسف بن محمد العطار، وعبد الله بن قنبل، وأبي ثابت بن عبد الله المدني الفقيه، وأحمد بن زكريا بن أبي مسرة[٣] ، وغيرهم، ممن كانت لحلقات علومهم أثر مهم في إثراء الحركة العلمية في المدينة، وقبل ذلك كانت حلقات الصحابة، والتابعين ومن أمثال تلك الحلقات حلقة محمد بن إبراهيم عيدروس الذي كانت له حلقات علمية في ركن المسجد النبوي، وكذلك محمد بن سحنون الذي حج في سنة ٢٣٥هـ، وكان له العديد من الحلقات العلمية في الحرمين أثناء ذلك فاستفاد من علمه الكثير ممن سمعوا عنه وأخذوا منه حتى

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة، ٢/ ٩٨؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٢/ ٣٦؛ المصنف: مرجع سابق، ص ٢٠٦.

(٢) السخاوي:المصدر السابق، ٢/ ٤٤٤، ٤٤٦؛ المصنف : مرجع سابق، ص ٢٠٦.

(٣) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، (تحقيق: محمد الفقي، القاهرة ١٩٥٩م) ، ٥/ ٢٣١؛ عياض، المدارك، ٢/ ٥٤٨؛ الرحمن المصنف، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

العلماء أنفسهم، فكانت هذه الحلقات التي كانت تنشأ في أوقات قصيرة وعارضة خاصة في أوقات موسم الحج وتسمى «المجالس الطارئة» نتيجة لقدوم بعض علماء المسلمين من خارج الحجاز أو من داخله إذا ما انتقل من مدينة إلى أخرى[1] ، كما نالت المدينة المنورة نصيبًا وافرًا من النشاط العلمي أثناء زيارة مختلف الحجيج للمسجد النبوي، والسلام على الرسول ﷺ فيها، لكن ذلك لم يكن بالحجم نفسه الذي نالته مكة المكرمة؛ نظرًا لأن زيارتهم للمدينة تستغرق مددًا قصيرة مقارنة بالمدة التي يستغرقونها في مكة سواءًا من قبل أداء مناسك الحج وبعده، مما جعل معظم حملة العلم من أهل المدينة يبدون مرونة كبيرة أثناء وجودهم في مكة للتتلمذ على أيدي أشهر العلماء الموجودين في مكة، والنهل من معارفهم، وبالرغم من أن معظم علماء المدينة ممن رحلوا إلى مكة كان لهم باع طويل في العلم بل تتلمذ الكثير من علماء مكة وغيرهم على أيديهم، وكثيرًا ما تطالعنا بعض المصادر التي بين أيدينا عن وجود حلقات ومجالس علمية مختلفة في الفتوى والحديث وغيرهما في مكة للكثير من علماء المدينة، أثناء وجودهم فيها مما يؤكد لنا الحجم الكبير للتبادل العلمي والتفاعل الثقافي بين مكة والمدينة ومدى عمق التواصل الديني والتأثير الإيجابي على الحياة العلمية فيهما، فهذا الإمام مالك وتلميذه عبد الملك بن

(١) الدهاس: مرجع سابق، ص ٢٠٦.

الماجشون (ت٢١٤هـ) قدما مكة فتبادلا مع علمائها الكثير من المعلومات في مختلف العلوم، ولعلو منزلتهما العلمية لدى الخاصة والعامة في مختلف أقطار الإسلام، ترى المنادي ينادي في مكة أثناء موسم الحج أن لا يفتى الناس إلا مالك وابن الماجشون[١] . ومنهم أيضًا: إبراهيم بن المنذر الحزامي المدني (ت ٢٣٦هـ)، ومحمد ابن يحيى الكناني المدني[٢] المشهور بعلم الحديث ورواية السير، ومعرفة الأيام، إضافة إلى إلمامه بعلم الأدب اللذين رحلا إلى مكة والتقيا ببعض علمائها مثل: سفيان بن عيينة، وعبد الله بن نافع الصائغ (ت ٣هـ) فأخذا عنهما علومًا كثيرةً ورويا عنهما بعد ذلك، ولم يمنعهما أثناء ذلك من أن يقيما حلقًا ومجالس علمية في مكة إلى جانب المدينة حضرها الكثير من حملة العلم[٣] ، كما وجد من العلماء من كان يترأس مجلسًا يضم العديد من الناس

(١) ابن فرحون: الديباج، ١/ ٤١١، ٤١٢؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٢٨٥؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٢، ص ١٠٠؛ المنصف: مرجع سابق، ص ١٤٤.

(٢) المؤكد أن أبا غسان محمد بن يحيى كان حيّا بعد عام ١٩٠ هـ، ومن المرجح أن تكون وفاته تأخرت إلى نهاية القرن الثاني، أو إلى العقد الثاني من بدايات القرن الثالث الهجري. ويعد الجانب الإخباري من أهم أسس التكوين المعرفي لأبي غسان محمد بن يحيى، وهذا ما جعله ذا دراية واسعة بأخبار المدينة النبوية ومعالمها، وقد شهد بذلك تلميذه عمر ابن شبة فقال:« كان عالما بأخبار المدينة» للمزيد راجع: ياسر أحمد نور: أبو غسان محمد بن يحيى المدني.. وكتابه المفقود «أخبار المدينة»، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد ٤٣، العدد ١، ٢٠١٦، ص ١٩٢.

(٣) المنصف: المرجع السابق، ص ١٤٥.

والمجاورين[١] للمناظرة فإذا اختلفوا في شئ تكلم فيه، وقطع برأيه السديد حبال طريق الخطأ، لأن المتعارف عليه في تلك الأثناء أنه لا يشترك في تلك المجالس إلا من كان عالمًا مشهورًا بعلمه ملمًا بالمعرفة التامة في فنون العلوم المختلفة، وكان الإمام أبو بكر القرشي المدني (ت٣١٤هـ) متربعًا على مجالس المناظرة، وصنف وأفاد، وناظر في ثلاثة مائة ألف حديث[٢] . ومن العلماء الذين كان لهم في مختلف المجالس والحلق العلمية داخل الحرم المدني، العالم المشهور أحمد بن محمد النيسابوري، حيث استمر بضع عشرة سنة يسهم بعطائه العلمي، وتقلد منصب قاضي الحرمين الشريفين[٣] وقد كان هذا النوع

(١) المجاورة بمكة والمدينة: يُـراد بها المقام مطلقًا غير ملتزم بشرائط الاعتكاف الشرعي، وتعتبر المجاورة ظاهرة دينية واجتماعية، اقتضتها قدسية المكان وشرفه وفضيلته، وأملتها رغبة بعض المسلمين من مختلف الفئات قضاء فترة صفاء روحي في رحاب المدينة ومكة، وهى تمتد وتقصر حسب رغبة المجاور ودوافعه وأهدافه والظروف المحية به، وعُرفت المجاورة كظاهرة اجتماعية في المدينة – منذ ظهور الإسلام، وذلك استنادًا على ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة من آيـات وأحاديث تفصح عن مكانة المسجد النبوي وفضله ومن هذا المنطلق شخص إلى المدينة عدد كبير من الصحابة والتابعين وأتباعهم من السلف الصالح من علماء وعباد وزهاد وغيرهم راغبين المجاورة بمدينة النبي ﷺ. انظر: عبد العزيز بن راشد السنيدي: المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (٥٧٠ – ٦٦٠هـ/ ١١٧٤ – ١٢٦١م) ، (ضمن بحوث مكة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦م) ، ص ٧، ٨.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص ٤٦٦؛ الدهاس: مرجع سابق، ص ٢٠٧.

(٣) الدهاس: المرجع سابق، ص ٢٠٨.

من الحلقات والمناظرات في المدينة له إسهام كبير وتأثير إيجابي فاعل في الحياة العلمية نتيجة لارتياد المسلمين للمدينة بعد أو قبل فريضة الحج والعمرة، ثم التعبد والتنسك في الحرم النبوي ولو لمدة قصيرة ولوحظ قيام هذه الفئة العابرة بكثرة ممارستهم للتدريس والقيام به أثناء ذلك، بل إن بلاد الحجاز قاطبة تشهد خلال ذلك حركة علمية قوية أكثر من أي مدة زمنية أخرى على مدار العام الكامل نتيجة لمرور مختلف علماء دار الإسلام على وجه الخصوص في الأراضي الحجازية، فقد كان لهم تأثير إيجابي على الحياة العلمية في الحجاز حيث إن أغلبهم كانوا يقيمون حلقاتهم العلمية، وينشرون فيها علومهم[١] .

وحلقة أبي عثمان ربيعة، وكانوا يخصصون لكل يوم علم معين، فيوم للسير، ويوم للفقه، وآخر للحديث، وهكذا، ولم تمنع النساء من العلم بل كن يحضرن لسماع المواعظ، والدروس، ويؤدين الصلاة في المسجد، ومن الحلقات؛ حلقات الفقهاء، والعلماء، والشعراء، والكُتّاب، والزهاد الذين يتعبدون في المسجد النبوي، ويقيمون المواعظ، والدروس أيضًا [٢] . وزاد من تدفق الحياة العلمية في المدينة في العصر العباسي اشتهار مدرسة الحديث

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٧.

(٢) ميسون مزكي فردوس العنزي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في العصر العباسي الأول منذ (١٣٢هـ - ٢٣٢هـ / ٧٤٩ م – ٨٤٦م)، (رسالة ماجستير – غير منشورة – كلية الآداب، جامعة اليرموك، قسم التاريخ، الأردن ١٤٢٥هـ)، ص ٧٧، ٧٨.

والأثر أكثر من العصر الأُموي، وذلك لاهتمام الخلفاء والولاة [١] . وكثر الزُهاد في المدينة لوجود العلماء، وخاصة في العلوم الشرعية وارتباطهم بمسجد الرسول الأكرم، وكثرة التعبد فيه، والصلاة في مسجد النبي ﷺ تعد بألف صلاة، فكان الزهاد يطمعون بزيادة الأجر والثواب[٢] .

ونظرًا لقضاء العلماء الحجازيين والوافدين أخصب حياتهم العلمية في الحرمين الشريفين فقد كان لهم تأثير كبير وإسهام فاعل في تطور الحركة العلمية في بلاد الحجاز من القرن الثالث إلى الربع الأخير من القرن السادس ، من خلال نتاجهم العلمي في مختلف العلوم، والذي بدوره أثرى الحياة العلمية في المدينة وديار الإسلام[٣] . واقتصرت هذه الحركة على حلقات المدرسين في المسجد النبوي قبل نشأة المدارس النظامية في الربع الأخير من القرن السادس الهجري، ولقد برزت عائلات اشتهرت بعلمها فأوقفت أبناءها على هذه الحركة[٤] .

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٨.

(٣) المصنف : مرجع سابق، ص ٢٠٨.

(٤) سليمان عبد الغني مالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري (رسالة دكتوراه – غير منشورة – كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، القاهرة ١٤٠١ هـ)، ص ٣٢٩.

هـ- أثر المجاورين في الحياة العلمية والثقافية :

تمدنا المصادر التي تخص هذه الحقبة الزمنية لهذا البحث بذكر العلماء الذين جاوروا المدينة، ولا يكاد يخلو مصدر من هذه المصادر من التحدث عن هؤلاء العلماء الذين جاوروا، وبرزوا حتى أصبحت أهميتهم بالغة في الحرمين الشريفين[(١)] وواضح أن هؤلاء المجاورين كان أكثرهم من المصريين منذ منتصف القرن الرابع الهجري؛ وذلك لارتباط الحجاز بمصر ارتباطًا وثيقًا، ويأتي من بعدهم في العدد والعدة الشاميون، والعراقيون من بعدهم، ثم المغربيون، وأخيرًا اليمنيون، إذ أن أكثرهم كانوا مصريين، والسبب هو قرب المسافة بين البلدين، وارتباط أشراف مكة بالخلفاء الفاطميين، لذا كان من السهل انتقال العلماء من مصر إلى الحجاز، وربما كانت قلة العراقيين ترجع إلى اختلاف الخلافة العباسية مع أمراء مكة والمدينة[(٢)] .

الواضح أن هؤلاء المجاورين ربما كانوا ثمارًا من مختلف أمصار الدولة الإسلامية، أتوا إلى المدينة للمجاورة، أو لتقديم الصدقات للفقراء في الحرمين الشريفين، وربما كان بعض هؤلاء المجاورين يأتون إلى المدينة؛ ليقضوا فترة

(١) السخاوي، التحفة اللطيفة ١/ ٤٠؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص ٥٤؛ - سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص ٣٢٩.

(٢) السخاوي، المصدر السابق، ١/ ٤٨؛ الفاسي: المصدر السابق، ٣/ ١٦٨.

من عمرهم الزمني للراحة والصفاء الروحي[١] وربما كان بعضهم يأتون للمجاورة ويقضون بقية عمرهم الزمني في المدينة حتى صاروا جزءًا من المجتمع المدني، وربما كانت هجرة أغلبيتهم من منتصف القرن الثالث الهجري، سبب ذلك يرجع إلى كثرة الأربطة التي أنشئت في هذه الحقبة بالمدينة وكانت لها أثر واضح في الحياة العلمية إذ شجعت على الاستقرار إذ كانت سكنًا لطلاب العلم والغرباء والمجاورين والفقراء والزهاد، وغيرهم من القادمين إلى المدينة المنورة والمقيمين فيها[٢] .

وممن جاور بمدينة رسول الله ﷺ، وكان له اهتمام بعلم الحديث وغيره: الإمام الحافظ يحيى بن معين البغدادي، إمام الجرح والتعديل، شيخ المحدثين (ت ٢٣٣هـ) أقام بالمدينة مجاورًا ثلاث سنوات، حتى توفى بها، قال عنه أحمد ابن حنبل " كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين، فليس بحديث؛ وذلك لكون يحيى بن معين حجة فيه، حيث قال عن نفسه «كتبت بيدي هذه ستمائة ألف حديث»، ويعني ذلك بالمكرر[٣] .

وممن جاور بالمدينة بعض الوقت: محمد بن نصر المروزي

(١) المقريزي: السلوك ٢/ ١٧٧؛ سليمان مالكي: مرجع سابق، ص٣٣٠ بتصرف.

(٢) عائشة عبد الله عمر باقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، (رسالة ماجستير – غير منشورة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة ١٤٠٠هـ)، ص ١٣٨.

(٣) عياض: المدارك، ٤/ ٧١٣؛ ابن النجار: الدرة الثمينة، ص ٦٣؛ المصنف: مرجع سابق، ص ١٨٤، ١٨٥.

(ت ٢٩٤هـ)، ولد ببغداد ونشأ بنيسابور واستوطن سمرقند، وروى عنه أنه قال: كتبت الحديث بضعاً وعشرين سنة، وصنف محمد هذا كتبا ضمنها الآثار والفقه، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام وصنف كتابا فيما خالف أبو حنيفة عليا وعبد الله رضي الله عنهما. قال أبو بكر الصيرفي: لو لم يصنف إلا كتاب القسامة لكان من أفقه الناس[١].

وممن جاور بالمدينة المنورة أيضًا، وكانت له مجالس علمية في الحرم المدني: إسحاق تاج الدين بن الحموي، كان شيخًا صالحًا كثير العبادة، قدم المدينة، ومعه جماعة من فقراء أهل بلده، فكانوا يجتمعون في المسجد النبوي للقراءة والذكر، وكذلك إسماعيل بن عيسى الباكشهري نزيل الحرمين، وهو ممن تردد على المدينة، وجاور بها، وحصل، وأكرم الفقراء، والمريدين، وجمعهم على الذكـر، ومنهم أيضًا: محمد أبو عبد الله بن عمر بن يوسف بن بشكوال (ت ٤١٩هـ) من أهل قرطبة، وكان أحفظ الناس وأحضرهم علمًا وأفقههم على اختلاف العلماء، حافظًا للحديث والأثر، وسكن مدينة النبي محمد ﷺ، مجاورًا بها فصار من المتأثرين بها فكان يفخر بذلك، وصنف العديد من الكتب[٢].

ومن القيروان: محمد بن سفيان الهواري خرج من القيروان لأداء

(١) الشيرازي: مصدر سابق، ص١٠٦، ١٠٧.
(٢) المصنف: مرجع سابق، ص ١٨٥.

الفريضة، سنة ثلاث عشرة وأربعمائة. فحجّ وجاور بمكة. ثم أتى المدينة. فتوفي بها سنة خمس عشرة[١] . الوزير العادل، ظهر الدين، أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد الروذراوري[٢] . مولده بقلعة كنكور، ومن أعمال همذان، سنة سبع وثلاثين وأربع مائة. وكان كثير التلاوة والتهجد، ويكتب مصاحف، ويجلس للمظالم، فيغتص الديوان بالسادة والكبراء، وينادي الحجاب: أين أصحاب الحوائج؟ فينصف المظلوم، ويؤدي عن المحبوس، وله في عدله حكايات في إنصاف الضعيف من الأمير. وزر سبع سنين وسبعة أشهر، ثم عزل بأمر السلطان ملكشاه ونزل المدينة وتزهد، ومات فيها[٣] .

واشتهرت بعض العائلات التي استقرت بالمدينة وأصبحوا متخصصين بالعلم ونهج أبناؤهم على نهجهم العلمي، وبرز منهم أسماء كثيرة، استطاعوا أن يشاركوا في القضاء[٤] ومن أشهر قضاة المدينة المنورة: أبو الطيب الحسنى الحنفي الأزهري، وقد وفد من مصر، وتتلمذ في الأزهر الشريف، ثم رحل إلى المدينة في منتصف القرن السادس الهجري، وتولى أمر القضاء فيها، ومن أبنائه أحمد وعباس اللذان توليا أمر الخطابة والإمامة بالمسجد النبوي الشريف[٥] .

---

(١) المدارك، ٧/ ٢٦٣.
(٢) ترجمته في المنتظم لابن الجوزي «٩/ ٩٠»، ووفيات الأعيان لابن خلكان «٥/ ١٣٤».
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٤/ ١١١.
(٤) سليمان مالكي: مرجع سابق، ص ٣٣١ بتصرف.
(٥) ابن العماد: شذرات الذهب، ٦/ ٢٧٧.

ومن أشهر قضاتها أيضًا: القاضي أحمد المغربي المالكي الغرباني، قدم إلى المدينة سنة ٦٠٠ هجرية، وتولى أمر القضاء بها، وتوفي سنة ٦٧٠ هجرية، وهو لا يزال بمهنة القضاء. وأما عبد القادر فكان يقوم بتدريس المذهب المالكي في رباط المغاربة بالمدينة المنورة[١] . ومن علماء المدينة المنورة: أحمد بن عبد الله بن محمد بن شيخ الحجاز سمع منه بالروضة النبوية، المحدث أبو محمد بن عبد العزيز المهدي مع القطب القسطلاني الطبري القاضي سنة ٦٤٧هـ، ولشيخ الحجاز مؤلفات منها: النخبة المدنية، وتوفى سنة ٦٩٤هـ[٢] .

ومن الثابت أن تعدد القضاة في المدينة قد صاحبه أيضًا تعدد العلماء الوافدين إلى المدينة، والذين كانوا يهدفون من وراء ذلك المجاورة والتعليم. مما أسهموا في نشاط الحركة العلمية بالمدينة، أشهرهم: عبد الله بن محمد بن أبي الحسن المسعودي الهذلي، وقد تولى إمامة مسجد الرسول ﷺ سنة ٦٢٠ هجرية[٣] . أما الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد فقد تتلمذ على يد المحدث أبو محمد عبد العزيز المهدي القسطلاني سنة ٦٤٧هـ، ولقب بشيخ الحجاز. أما العالم أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع المغربي البصري المكي نزيل

(١) الفاسي: العقد الثمين ١/ ٢٣١ ؛ أحمد السباعي: تاريخ مكة (دار مكة للطباعة، مكة ١٣٩٩هـ)، ١/ ٢١٢؛ سليمان مالكي: مرجع سابق، ص٣٣٥.

(٢) سليمان مالكي: مرجع سابق، ص ١٦٦.

(٣) الفاسي: العقد الثمين ١/ ٢٨٠؛ ابن العماد شذرات الذهب، ٦/ ١٤٢؛ سليمان مالكي: المرجع سابق، ص٣٤٢.

المدينة فقد تتلمذ على يد أبي القاسم بالبصرة وعلى يد شيخ الحرم بدر الشهابي، ويقال أنه حج أربعين حجة متوالية قدم في أكثرها من المدينة، وكان يقوم بتدريس الحديث في المسجد النبوي الشريف[١] .ومن أشهر المجاورين الذين عاصروا سقوط بغداد، عفيف الدين عبد السلام بن محمد المصري الحنبلي الذي جاور بالمدينة خمسين سنة، ودرس بها ودرس وامتدت حياته إلى العصر المملوكي (٦٢٥ – ٦٩٦هـ)[٢] .

لم يقتصر نشاط المجاورين العلمي على العلوم الشرعية فقط، بل تعداها إلى العلوم اللغوية، مثل: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ) الحافظ العلم الذي جاور بالمدينة المنورة، وصنف العديد من المصنفات مثل: الجامع الصحيح: والمشهور باسم صحيح البخاري أبرز كتب الحديث النبوي على الإطلاق عند أهل السنة والجماعة، والذي يعول عليه في أقطار الإسلام، كما صنف كتاب التاريخ الكبير: وهو كتاب كبير في التراجم، رتب فيه أسماء رواة الحديث على حروف المعجم، كما صنف الأدب المفرد :بوّبه في عدّة مواضيع تُعنى بتهذيب الأخلاق وتقويم السلوك إضافة إلى عدد من كتب العلوم الأخرى[٣] .

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة ٢/ ٢٣١؛ سليمان مالكي: مرجع سابق، ص٣٤٣.
(٢) السيوطي: حسن المحاضرة، ١/ ٢٠٥؛ فريال محمود عباس قطان: الحجاز في ظل الدولة الأيوبية والفاطمية بمصر، (القاهرة ٢٠٠٣م) ، ٣٢١.
(٣) السيوطي: طبقات الحفاظ، ص ٢٤٩؛ المصنف: مرجع سابق، ص ١٨٥.

واشتغل المجاورون في التدريس وإجادة اللغة العربية، ونظم الشعر، وناظروا علماء اللغة الذين يفدون في مواسم الحج مما أدى إلى نبوغهم في اللغة وكان منهم أساتذة كثيرون يعلمون الناس اللغة العربية في الحرم النبوي الشريف، مما أدى إلى تمكنهم في العربية، وإدخال عبارات أعجمية في ألفاظ عربية[١] . ويذكر لنا عمارة اليمني في كتابه «المفيد في أخبار زبيد» أن هؤلاء الوافدين الأعاجم كانوا يجيدون العربية، وقد تتلمذ على أيديهم، ولم يشعر بأن واحدا منهم لحن في شئ من الكلام[٢]. وتزايد دور العلماء بنشاطهم العلمي المتدفق في كافة المجالات العلمية ونشر العلم والمعرفة بين المسلمين، بعد أن احتوى الحرم النبوي العديد من المناشط العلمية والتي ساهم فيها موسم الحج بما يمثله من تظاهرة علمية دينية في حد ذاته تتيح للكثير من العلماء إقامة حلقاتهم العلمية ويتساوى الأمر بين العلماء المدنيين وإخوانهم القادمين من أقطار إسلامية أخرى، ومن خلال الحلقات العلمية تنبثق المناقشات وتطرح الآراء، وتعقد الندوات [٣] . ويتاح الفرصة لأبناء المدينة وطلاب العلم للقاء العلماء البارزين، والخروج بحصيلة علمية في كثير من المسائل الخلافية في فنون العلم المختلفة وعن طريق أولئك الذين جاءوا إلى الحج من علماء الأمصار الإسلامية انتقلت العديد من الأفكار والآراء العلمية، بل حملوا

(١) سليمان مالكي: مرجع سابق، ص٣٥٦.
(٢) عمارة اليمني: المفيد في تاريخ اليمن (تحقيق: حسن سليمان، القاهرة ١٩٥٧)، ص ١٢٢.
(٣) السنيدي: الحياة العلمية، ص ٤٣٤؛ الدهاس: مرجع سابق، ص ٢١٠.

معهم مؤلفات عديدة سواء ما كان منهم من نتاج علماء الحجاز أو غيرهم من علماء المسلمين، وشكل ذلك في حد ذاته تاريخًا معرفيًا وثقافيًا واسعًا بين أبناء المسلمين[١] . فكان لظاهرة الجوار في الحرم الشريف دور فاعل وأثر إيجابي بالغ في انتعاش الحياة العامة في المدينة المنورة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية على وجه الخصوص، أدت بدورها إلى تطور مجتمع المدينة في المجالات المختلفة، بل استطاع المجاورون في ذلك الوقت أن يجعلوا المدينة من أعظم مراكز العلم، وعوضوها ما فقدته من هجرة علمائها إلى مختلف الأقطار الإسلامية لأسباب اقتصادية وسياسية[٢] ، و لم تقل المدينة النبوية أهمية عن حواضر العالم الإسلامي المهمة مثل مكة، وبغداد ودمشق والقاهرة والقيروان كمراكز حضارية مهمة في تاريخ الحضارة والثقافة الإسلامية، فقد استوطنها كثير من الفقهاء والعلماء في مختلف المذاهب الإسلامية الذين قدموا من بلدان مختلفة واستوطنوا المدينة، وقد برع هؤلاء الفقهاء والعلماء في مختلف العلوم الدينية وتركوا أثرًا واضحًا في الحياة العلمية في المدينة النبوية[٣] .

وقد وُجد من يفضل المجاورة بالمدينة المنورة على غيرها من المدن بما في ذلك مكة المكرمة لأسباب عديدة منها: أن الشوق ينبعث بعد المفارقة، فقد

(١) السنيدي: المرجع السابق، ص ٤٣٤، ٤٣٥؛ الدهاس، المرجع السابق، ص ١١١ .
(٢) المصنف: مرجع سابق، ص ١٨٧ . بتصرف.
(٣) سليمان مالكي: مرجع سابق، ص ١٦٧ .

فضلوا الابتعاد حينًا والعودة حينًا آخر فآثروا المقام في المدينة لقربها من مكة. ولكون المجاور يحتاج إلى مأكل ومشرب وغير ذلك من ضروريات الحياة فقد يؤدي ذلك إلى ارتفاع الأسعار خاصة على أهالي مكة ، ونخلص من ذلك إلى القول أن المجاورة بالمدينة كانت مفضلة ومستحبة لدى الغالبية العظمى من العلماء على غيرها بما في ذلك مكة للأسباب السالفة الذكر، إضافة إلى ذلك استنادهم في تفضيلهم هذا إلى ما يرويه الشيخان عنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»[1] ، وناهيك بذلك عن أي شرف وفضل آخر. كون ذلك من الأعمال الفاضلة، والتي يستطيع الإنسان أثناءها ممارسة مختلف العبادات، والطاعات مما ينبغي به وجه الله تعالى خصوصًا الحسنات فيها مضاعفة وهو ما لم يحصل عليه إنسان في أي مكان آخر على سطح الأرض سوى مكة والمدينة من بعدها[2] . وساعدت العديد من العوامل على ازدياد عدد المجاورين في المدينة أهمها: كثرة الأموال الواردة من ريع الأوقاف في مختلف الأمصار الإسلامية على المجاورين خاصة وأهل الحرمين الشريفين عامة، وكثرة الصدقات الدارة على المجاورين من مختلف أصحاب البر ولإحسان في الأقطار الإسلامية الأخرى سواءً من الخاصة أو العامة منهم في مواسم الحج وفي غيرها[3] .

(١) رواه البخاري (١١٩٦) ومسلم (١٣٩١).
(٢) عبد الرحمن المصنف: مرجع سابق، ص ١٨٠ – ١٨٢.
(٣) المرجع سابق، ص ١٨٣.

٢- العوامل الاجتماعية:

المتأمل في الحياة الاجتماعية في المدينة في العصر العباسي يلمس، عِظم شأن أهل العلم في المجتمع، ولا تقتصر مزية العلماء الاجتماعية هذه على عصر أو مصر دون آخر، وإنما كانت سمة ملازمة للعلماء المسلمين في كثير من الأحيان، ولكن نفوذها – في الغالب – يرتبط بسياسة الدولة الحاكمة ونظرتها وإدراكها لذلك. وبصفة عامة بلغ العلماء في المدينة مكانة اشرأبت إليها أعناق أهل السلطة والسيادة وبقدر ما ذللت مكانة العلماء هذه الكثير من الصعاب أمامهم لتأدية دورهم الريادي في المجتمع، فإنها كثفت من مسئولياتهم ونوعيتها، كما حفزتهم لمزيد من التألق لخدمة أبناء المجتمع والتفاعل التام مع مشاكله وقضاياه المختلفة.

ساهمت بعض العوامل في منح العلماء المزيد من الفرص للاطلاع عن كثب على أحوال المجتمع، والوقوف على العديد من القضايا والمشاكل الاجتماعية التي تواجه الناس؛ ولعل من أبرز هذه العوامل تناثر مساكنهم وتفرقها بين فئات المجتمع في الأحياء المختلفة، وكذلك اختلاطهم المتكرر مع عامة الناس في المساجد والمناسبات الدينية والاجتماعية، إضافة إلى احتكاك الطرفين من خلال تلك الوظائف التي أوكلت مهامها بالعلماء، وأنيط بها خدمة النـاس، كالقضاء، والفتوى، والشرطة وغيرها[١] .

(١) السنيدي: مرجع سابق، ص ٤٠٤. بتصرف.

فضلا عن ذلك فقد انتشر العلماء مع عامة الناس في أسواق المدينة المنورة، بعد أن اعتمد بعضهم على التجارة أو القيام ببعض الحرف كمصدر رزق، وهو ما حقق لهم الانتشار بالأسواق، وبالتالي زيادة تغلغلهم وتأثيرهم في المجتمع[١].

واهتم العلماء في المدينة بتتبع أحوال الناس واستقصاء كل ما له علاقة بشؤونهم، طارقين أبوابًا عدة للوصول إلى هذا المأرب، وتحقيق هذا الغرض ولا شك أن لما دأب عليه العديد من العلماء من إتحاف الخلفاء والولاة بالنصائح المتوالية أثرًا ملموسًا في وقوف المسؤولين على كثير مما يعانيه أبناء المجتمع من مشاكل قد تغيب أو تُخفى عن السلطات، وبالتالي فإن السلطة – الحريصة والواعية – تسعى في المبادرة – بعد هذا التنبيه – لحل مثل هذه المشاكل المقلقة لأبناء المجتمع[٢].

وقد شمر العلماء في المدينة عن ساعد الجد لمناصرة أبناء المجتمع ودفع ما قد يقع عليهم من ظلم وجور[٣] وحرصت الخلافة العباسية على تقوية الصلة بأهل المدينة وإرضاء أهل العلم بمراقبة الولاة ومحاسبتهم، ومثال ذلك أن أبا جعفر حرص على متابعة شؤون المدينة، ولم يسلم من المحاسبة حتى عبد

(١) المصدر نفسه، ص ٤٠٥. بتصرف.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠٦. بتصرف.
(٣) السنيدي: مرجع سابق، ص ٤٠٦. بتصرف.

الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس (شيخ البيت العباسي) إذ خضع للمساءلة من قبل عمه الخليفة أبي جعفر المنصور؛ لارتكابه أخطاء في أدائه أثناء ولايته على المدينة سنة ١٤٩هـ / ٧٦٦م[١] وبعد قيام والي المدينة جعفر بن سليمان بإنزال العقاب بالقرشيين والموالي نجد الخليفة المنصور يذهب ليستأذن من مالك فيما حل به ويطلب منه الصفح ويخبره أن ما جرى له من ضرب وإهانة لا علم له به، ثم يعزل الأمير ليظهر أمام الرأي العام أنه يحترم ويجل العلماء ويدافع عنهم هادفًا إلى إظهار نفسه بالمدافع عن رجال العلم ليكسب رضا الناس[٢] .

ولا يغرب عن البال ما للبدع والخرافات من تأثير سلبي وسئ على طبقات المجتمع المختلفة؛ سواء بشحن النفوس، وإيغار الصدور، ومن زيادة الفرقة والتمزق الاجتماعي، أو بتأجيج الفتن والقلاقل في المجتمع، أو غير ذلك، وكان أثر العلماء في المدينة واضحًا في هذه القضية المهمة، فنتج عن ترادف مساعيهم الخيرة لبتر هذا الفساد تطهير المجتمع المدني من براثن الكثير من البدع الضالة والخرافات الزائفة[٣] مثل بدعة الجزعة بالحرم المدني والتي كانت توجد في المحراب القبلي المواجه للمصلى، وقد كان يحصل بسببها فتن

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ٨/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٢) اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ت ٧٦٨هـ: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ م، ١/ ٢٩١؛ غيثان: دراسات في تاريخ الحجاز، ص ١٠٨، ١٠٩.

(٣) السنيدي: مرجع سابق، ص٤٠٧ بتصرف.

كبيرة وتشويش على المصلين وعلى من يكون بالروضة النبوية من المجاورين، وغيرهم لأنه كان يجتمع عندها الرجال والنساء لاعتقادهم أنها خرزة فاطمة الزهراء، وكانت مرتفعة لا يستطيع الواقف لمسها ليتبرك بها لذا يرقى الرجل على كتف صاحبه والمرأة على كتف صاحبتها أو على ظهرها للوصول إليها، وربما وقعت المرأة وصاحبتها خلال ذلك فتتكشف عوراتها مما يتنافى مع الإسلام وحرمته لذا عندما جاور ابن حنا المصري أمر بقلعها فقلعت[١] .

أما الفقراء والمعوزون من أبناء المجتمع ممن لا يقدرون على الكسب أو من ابتلوا ببعض حوائج الدهر ونوائبه، فكانوا محل عطف العلماء ورعايتهم واهتمامهم ومما يناسب ذلك ما ذكره المحب الطبري في الرياض النضرة في فضائل العشرة، قال: أخبرني هارون بن الشيخ عمر بن الزعب- وهو ثقة صدوق مشهور بالخير والصلاة والعبادة- عن أبيه، وكان من الرجال الكبار- قال: كنت مجاورا بالمدينة وشيخ الخدام إذ ذاك شمس الدين صواب اللمطي، وكان رجلا صالحا كثير البر بالفقراء والشفقة عليهم[٢] . ومن مظاهر العناية بالفقراء

(١) السمهودي « علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن، ت ٩١١هـ»: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، (دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ)، ١/ ٢٨٤؛ فريال: الحجاز، ص ٣٣٦.

(٢) محب الدين الطبري، أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، ت ٦٩٤هـ، الرياض النضرة في مناقب العشرة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م، ٣/ ١٩٢؛ السمهودي : المصدر السابق، ٢/ ١٨٩

أن ابتنى قاضي المدينة زكي الدين بن أبي الفتح بن صالح تغمده الله برحمته على محلّ هذا الأطم منزلا حسنا، وجعل للبئر الصغرى درجا ينزل إليها منه، وعمر البئر الكبرى أيضا لما استأجر الحديقة لولده بعد أن أجرها هو وشريكه في النظر في الولاية السلطانية لغيره، وهي من جملة أوقاف الفقراء، وقفها شيخ الخدام عزيز الدولة ريحان البدري الشهامي على الفقراء الواردين والصادرين للزيارة[1] .

وقد تيقظ العلماء في المدينة وأدركوا أهمية الترابط والتلاحم بين فئات المجتمع، فلم يتوانوا برهة في استبراء الطرق الكفيلة باتساق العلاقات الاجتماعية وانتظامها وفق ما يلائم تعاليم الإسلام الخالدة، وما يتوافق مع مقام دار هجرة النبي ﷺ وقيمتها في نفوس الناس فألفوا وكتبوا عن آداب الزيارة والمجاورة بمدينة نبي الرحمة المهداة:" ومنها: محبة أهل المدينة وسكانها، ومحبة مجاوريها وقطّانها، وتعظيمهم، سيما العلماء والصلحاء والأشراف والفقراء وسدنة الحجرة وخدّامها. وقد ورد عن الإمام مالك رضي الله تعالى عنه في مناظرة المنصور: «أن حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا كحرمته حيا. ومنها: الحرص على فعل أنواع الخيرات بحسب الإمكان في ذلك المكان، من عيادة مريض، وتشييع جنازة، ومعونة ضعيف، وإغاثة ملهوف، والإحسان

(١) المصدر نفسه،٣/ ١٢٨.

إلى المقيمين والواردين، وإكرام الزائرين، ومواساة فقرائهم ولو بلقمة أو تمرة أو سقي الماء إن أمكنه، إلى غير ذلك من أنواع الخير والمعروف، ومنها: أن لا يضيق على من بها من الفقراء والمحتاجين، بسكنى الأربطة والأخذ من الصدقات»[١] .

وإمعانًا في الحفاظ على وحدة المجتمع المدني وترابطه، فقد جدَّ العلماء أيضًا في التصدي والإنكار على العناصر المثيرة للاضطراب، والساعية إلى خلخلة المجتمع بتصرفاتها واعتقاداتها التي تثير البلبلة في المجتمع كثور بن يزيد بن زياد الكلاعي الحمصي (ت ١٥٠هـ) الذي أخرجه أهل حمص وأحرقوا داره لكلامه في القدر، وعند وصوله المدينة نهى الإمام مالك عن مجالسته[٢] . وقد بلغ عدد القدرية في المدينة في عهد المهدي ثلاثين رجلا تصدى لهم أهل العلم، أُرسلوا إليه في بغداد فأدبهم وعاقبهم[٣] . وكان القدرية في المدينة قليل بالنسبة لغيرهم من الأقاليم الإسلامية الأخرى، وكانوا محاصرين لا يستطيعون إظهار ما يعتقدون لتصدي العلماء لهم[٤] .

(١) المصدر نفسه، ٤/ ٢٢٦.
(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢/ ٣٠.
(٣) اللاكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ٤/ ٧٢٠.
(٤) سعد الموسى: مرجع سابق، ص ١٠٦.

مع آواخر العصر الأيوبي وبدايات العصر المملوكي تسابق السلاطين إلى أفعال الخير والإحسان، والاهتمام بالرعاية الصحية، وزيادة الصدقات خوفًا من فقدان نفوذهم في بلاد الحجاز وسيطرة أمراء مكة والمدينة على الحرمين[١] .

٣- العوامل الاقتصادية:

مما ساعد على الازدهار الاقتصادي للمدينة في العصر العباسي الاهتمام الذي أولاه خلفاء هذا العصر لشؤون الحجاز، وحرصهم على أداء مناسك الحج وزيارة البقاع المقدسة بالمدينة وإقامة المنشآت العمرانية بها، والتقرب لأهلها وصلتهم بكثرة العطاء[٢] ووفرت المنشآت الوقفية للمجاور جوًا مريحًا في جميع شؤون حياته، ووجد فيها أمنه وطمأنينته، ولم يعد يخشى ألا يجد مأوى أو طعامًا إذا ضاقت به سبل العيش بجوار الحرم النبوي الشريف، كان الخلفاء ينفقون بسخاء على العلماء تشجيعًا منهم للعلم وليتفرغ العلماء للتبحر في العلم ونشره بين الناس، وتشجيع المعرفة من أجل المعرفة لنهضة الإنسان وخدمة للدين، وممن كان له جهد واضح الخليفة أبو جعفر المنصور الذي قدم حاجًا فقسم العطاء، على أهل مكة والمدينة، وكان مقدار ذلك العطاء ألف

(١) هيام على عيسى: الحج إلى الحجاز في العصر المملوكي ، (رسالة دكتوراة – غير منشورة – جامعة القديس يوسف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت ١٤٣١هـ)، ص ٢٨٦، ص ٢٩١. بتصرف.

(٢) حافظ محمد بادشاه: الحجاز في أدب الرحلة العربي، (رسالة دكتوراه – غير منشورة – الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد ٢٠١٣م)، ٧٤.

دينار، وممن ناله ذلك العطاء هشام بن عروة بن الزبير، وكانت أعطيات المنصور لأهل المدينة أوفر من الخلفاء قبله[١] ،وعندما حج المهدي فرق بالمدينة ثلاثين ألف درهم ومائة ألف وخمسين ألف ثوب[٢] ، كان عبد الله بن المصعب بن ثابت في صحابة المهدي، صحبه سنتين حين قدم المهدي المدينة، وجلس للناس يعطيهم الأموال، يعطي الرجل من قريش ثلاثمائة دينار، ويكسوه سبعة أثواب[٣] ، ووصل القراء والمحدثين والفقهاء والقصاص والشعراء.

وفي عهد الرشيد خول نائبه على المدينة بكار بن عبد الله بن مصعبِ بنِ ثابِت بنِ عبد الله بنِ الزبير، على يديه لأهلها ألف ألف دينار. ومائتي ألف دينار، وكان شَرِيفًا جوادا معظما [٤] ، وفي عام ١٨٦هـ / ٨٠٢م زار الرشيد المدينة ومعه ولداه الأمين والمأمون ففرق كل منهم عطاء على أهل المدينة، فكان لكل رجل في المدينة ثلاث أعطيات[٥] .

(١) الموسى: مرجع سابق، ص ٩١.

(٢) قطب الدين: تاريخ المدينة، (تحقيق: عبد الله بن عيد العزيز بن إدريس، رسالة دكتوراة، جامعة ادنبرة ١٩٨٥م)، ص ١٥٦؛ سعد الموسى تاريخ الحياة العلمية، ص ٤٦.

(٣) الزبيري « مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله ت ٢٣٦هـ»: نسب قريش، (تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة ١٤٠٣هـ)، ص ٢٤٢.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية ١٠/ ٢٢٧.

(٥) ابن الأثير: الكامل ٥/ ١١٢.

ومن العلماء من كان مورده الاقتصادي من العمل في التجارة أو بعض الحرف أو ناشئًا من إرث آل إليه وذلك أكسبهم استقلالا ساعدهم على الوقوف في وجه الظلم وجعلهم في مقدمة من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لأن مصدر رزقهم لا يساومون عليه كما تفعل بعض الحكومات مع من يعارضها.

ومن كان يعمل بالتجارة محمد بن سليم بن جماز الذي عمل في تجارة البز، وكان أبو صالح السمان يتاجر في السمن والزيت، أما ابن ذئب فقد كان يأخذ كراء دار أجداده عند الصفا بمكة فيتعيش منه، وكان عمر بن الحسين قاضي المدينة يعمل في بيع الثياب[١].

وممن يذكر لهم ثراء وتجارة آل الزبير فقد كانت لهم أموال ومزارع، وآل خالد بن دينار، وآل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ويذكر أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان عندما توفى ترك ثروة كبيرة، ومن العلماء الذين وصفوا بالثراء والسخاء عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة[٢].

وقد ساعدت التجارة الداخلية التي كان يقوم بها أهل المدينة على إنعاش الحياة العملية رغم ركودها في العصر الفاطمي، وكانت تجارتهم أيضًا مع القرى المجاورة لهم ومع مدن الحجاز الأخرى، وفي مقدمتها مكة والطائف وجدة حيث

(١) الموسى: مرجع سابق، ص ٥٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات القسم المتمم، ص ٢٠٦؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٥١.

يفد إليها التجار لتسويق بضائعهم، إضافة إلى تجارة أهل المدينة مع الأعراب من أهل البادية في التمر والسمن والجبن والحبوب. واعتمدت تجارة أهل المدينة الداخلية على المحاصيل الزراعية وفي مقدمتها التمر إلى جانب السمن والألبان والخيول والأغنام والجمال[١] كما كان لزراعة الشعير بالمدينة المنورة، أهمية كبرى لاعتماد أهلها عليه في غذائهم بعد التمر، وكان محصوله يسد جانبًا من احتياجاتهم إلى الحبوب[٢] ، مما ساعد على استقرار نسبي للحالة الاقتصادية للمدينة أفضل من مكة، وهذا أدى إلى استقرار نسبي للحياة العلمية أيضاً[٣] . وما كان لهذه النهضة العلمية أن تتم إلا بمصارف الأوقاف والأموال الواسعة التي كان الإنفاق فيها على التعليم مطلبًا رئيسيًا، ولذلك نجد السلطان صلاح الدين يخصص مبالغ سخية لطلاب العلم، ووجد علماء المدينة حظوتهم فعاشوا عيشة هنيئة طيبة تحت ظل هذه الأوقاف، وإلى جانب الجوامك الشهرية أو السنوية التي تشبه المنح الدراسية في العصر الحديث، وأيضًا الهبات السنوية في المواسم والأعياد للتشجيع على طلب العلم[٤] التي أثرت على ازدهار هذه العلوم.

(١) وسن سمين محمد أمين: التجارة في الحجاز خلال العصر الفاطمي، (مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد الرابع، العدد الأول ٢٠١١م) ، ص ١٩٨.

(٢) صبحي عبد المنعم محمد: مرجع سابق، ص ٢٧٦.

(٣) وسن، مرجع سابق، ص ١٩٨.

(٤) أحمد هاشم أحمد بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، دراسة تاريخية وثائقية حضارية، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ، ص ٣٥٥، ٣٥٦.

٤- العوامل السياسية:

تلاحقت الأحداث السياسية في المدينة المنورة، وانتقل مركز الخلافة من الشام إلى العراق بعد انتهاء الدولة الأموية، وقيام الدولة العباسية، ولم يتغير موقف العلويين في المدينة المنورة من عدائها للدولة العباسية أيضًا، ومن مظاهر هذا العداء قيام محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب بثورة في المدينة سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، لإعادة حق العلويين بالخلافة، وباءت ثورته بالفشل وقتِل[١].

كما فشلت، أيضـًا، ثورة أخيه إبراهيم التي قامت في البصرة في نفس العام، وتركت هذه الثورة آثارها على المدينة علميًا واجتماعيًا واقتصاديًا بعد أن سقط الكثير من أهلها ما بين قتيل وجريح وشريد، وشرد العديد من العائلات خارجها هربًا من الحرب ونتائجها وارتفعت الأسعار ومُنعت الميرة عنها وقلت المواد الغذائية، ولعل هذا الأمر هو الذي أدى إلى ثورة الزنج سنة ١٤٥هـ وكان أهم أسبابها سوء معاملة الوالي لأهل المدينة، وتركه لجنده يعيثون في الأرض فسادًا، ويبدو أن السودان كانوا أصحاب قوة وبأس شديد، وأن أعدادهم كثيرة؛ لأنهم استطاعوا خلال ساعات قليلة السيطرة على المدينة ونشر الفوضى فيها،

(١) ميسون العنزي: مرجع سابـق، ص ٨.

ويمكن القول أن عام ١٤٥هـ كان شديدًا وقاسيًا على المدينة وأهلها وعلمائها بما وقع فيه من فتن ونوازل[١] .

وكذلك قامت ثورة الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، ونفى الخبر، والبعض يذكر سنة (١٦٩هـ)، ومعه جماعة من أهل بيته، وشارك مع الحسين خلق كثير، وسيطر الثوار على المدينة أحد عشر يومًا[٢] ، ومع وصول عسكر العراق قامت معركة كبيرة قتل فيها الحسين ومئة من أصحابه.

لم تبق الأمور مستتبة في الفترة الأولى من حكم العباسيين، ورغم أنه لم تقم ثورة للعلويين في المدينة بعد ثورة الحسين بن على طيلة العهد العباسي الأول ١٣٢هـ - ٢٣٢هـ إلا أنه في عام ٢٥١هـ تعرضت المدينة لحملة من قبل إسماعيل بن يوسف العلوي الذي خرج من مكة متزعمًا جماعة من الأعراب، وارتكب فيها أعمالا شنيعة وتوارى عامل المدينة علي بن الحسين، إلا أن أهل المدينة بشحذ من علمائها عزموا على التصدي له والدفاع عن مدينتهم، فأعادوا حفر الخندق، ونفروا جميعًا لمقاومته فحاصر المدينة حصارًا شديدًا مات منه

(١) نجلاء محمد عويض المطيري: النوازل والفتن وآثارها في بلاد الحجاز من بداية القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن الثالث الهجري (القرن السابع إلى التاسع الميلادي، (مؤسسة عبد الرحمن السديري، الرياض ١٤٣٥هـ)، ص ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٠، ١٤١ .

كثير من أهلها جوعًا، وتعطلت الدراسة والصلاة وحلقات ومجالس العلم في مسجد رسول الله ﷺ، مدة الحصار الطويلة بسبب انشغال الناس[١] .

وحرص العباسيون منذ قيام دولتهم على حكم المدينة حكمًا مباشرًا والاحتفاظ بسلطة الخلافة العباسية في هذا البلد المقدس لأهميته الدينية ومكانته الخاصة في نفوس المسلمين مما يدعم شرعية الخلافة العباسية وزعامتها للعالم الإسلامي فاتبع العباسيون سياسة تأليف القلوب وكسب رضاهم حتى لايكونوا مع أعدائهم من العلويين لاسيما والمدينة هى موطن العلويين الذين يرون أنهم أحق بالخلافة من العباسيين. وقد أثمرت هذه السياسة في عزوف كثير من سكان المدينة وعلمائها عن الاشتراك في ثورات بعض العلويين كما في ثورة محمد النفس، وثورة الحسين بن علي. وقام الخلفاء العباسيون الأوائل بزيارة المدينة أثناء تأدية فريضة الحج مثل أبي جعفر المنصور وابنه المهدي وابنه هارون الرشيد، وقد أنفق هؤلاء الخلفاء في زياراتهم إلى المدينة مبالغ طائلة لاستمالة أهل الرأي والعلماء والناس كنوع من العطايا لهم والهبات للمجاورين[٢] .

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، (دار البيان، بيروت ١٩٧٩هـ)، ٤/ ١٢٧.

(٢) للمزيد انظر/ تقي الدين أحمد بن على المقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، (تحقيق: جمال الدين الشيال،ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٢٠هـ)، ص ٦٧، ٧٣، ٧٥، ٧٩؛ محمد بن سليمان الخضيري، وآخرون: منطقة المدينة المنورة، موسوعة المملكة العربية السعودية، (م٤، ج١، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض ١٤٢٨هـ)، ص ٢٣٧.

وقام المهدي بإصلاحات مهمة في المدينة المنورة ومنها توسعة المسجد النبوي، وإعادة بنائه على صورة لم يسبقه إليها أحد من الخلفاء، كما أمر بإقامة البريد بين المدينة المنورة، ومكة المكرمة واليمن، كان لذلك مردود طيب على الحياة العلمية في المدينة إضافة إلى مردوده الطيب على الحياة الاجتماعية والاقتصادية[١] . وقد عرف خلفاء بني العباس لأهل المدينة مكانتهم العلمية فكانوا يرجحون علماء الحجاز وقولهم على علماء العراق، فاستقدم الخلفاء العباسيون السفاح ومن بعده إلى المأمون عددًا من علماء المدينة لينشروا العلم في العراق، وليتولى بعضهم القضاء، وليكونوا في صحبة الخلفاء[٢] .

فالسفاح (١٣٢هـ - ١٣٦هـ) استقدم ربيعة الرأي ليوليه القضاء بالأنبار، ولكنه توفي قبل أن يصل إليه، وولى السفاح يحيى بن سعيد الأنصاري قضاء الأنبار، وقدم عليه حرام بن عثمان الأنصاري السلمي، وطلحة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأسود المديني الذي كان من أشراف قريش وأفاضلهم وكان ممن صحب السفاح حتى توفي، وقدم عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن السائب المخزومي المديني[٣] .

(١) محمد بن سليمان، المرجع سابق، ص ٢٣٧.
(٢) الموسى: مرجع سابق، ص ٥٦.
(٣) المرجع السابق، ص٥٧.

وطلب المنصور (١٣٦هـ - ١٥٨هـ) في عهده عددًا من المدنيين منهم يحيى بن سعيد الأنصاري الذي ولاه المنصور قضاءه بالهاشمية، وطلحة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأسود، الذي انتقل من الأنبار إلى بغداد بعد بنائها وأقام في صحبة المنصور حتى توفي المنصور[١] . وسعى المنصور ومن جاء من بعده من الخلفاء على كسب تأييد الفقهاء والعلماء في مواقفهم السياسية والوقوف إلى جانبهم مثل سعي الخليفة المنصور إلى الاتصال بالإمام مالك بن أنس، وجعفر الصادق، وسفيان بن عيينة وغيرهم، أثناء قدومه للحجاز، ومناقشته إياهم في كثير من الأمور، وخاصة عند وقوع بعض الفتن السياسية في الحجاز، ومعرفة آرائهم في كيفية القضاء عليها، كما حرص في إبعادهم عن العلويين الثائرين ضده، حتى يضعف شأنهم ويقلل من أنصارهم عند الرعية[٢] .

وهشام بن عروة بن الزبير الذي كان مصاحبًا للمنصور، وكذلك الفقيه أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون. (ت ١٦٤ هـ)، الذي استهداه المنصور من المهدي حين قدم المدينة فاختار عبد العزيز الماجشون وجعله مصاحبًا لأبيه ثم صحب المهدي حتى توفى فصلى عليه المهدي ودفنه

(١) المصدر نفسه، ص ٥٦، ٥٧.

(٢) غيثان، مرجع سابق، ص ٨٩، ٩٠؛ فيصل عبد الله حمد: دور بني العباس في إدارة المدينة المنورة في العصر العباسي الأول، مجلة بحوث ودراسات المدينة المنورة، ع ٩ المدينة ٢٠٠٤م، ص ٩ - ٢٨.

في مقابر قريش، وعثمان بن عمر التيمي المدني الذي ولاه المنصور قضاءه فكان معه حتى مات بالحيرة، ومحمد بن إسحاق الذي قدم على المنصور بالحيرة فطلب منه أن يكتب المغازي لابنه المهدي فكتبها له مطولة ثم أمره فاختصرها، وكان المنصور يفتخر بأن من رعيته عبد العزيز بن عبد الله العدوي المجني الذي خرج مع النفس الزكية وقدم جعفر بن محمد (الملقب بالصادق) على المنصور. أما في عهد المهدي (١٥٨هـ – ١٦٩هـ) فقد كان يرى للمدنيين منزلة خاصة يدل على اهتمامه بعلماء المدينة وأهلها فأفسح لهم في بعض شؤون الدولة، واستقدم خمسمائة رجلاً مدنيًّا وجعلهم حرسًا وأنصارًا له بالعراق[١] .

واختص علماء المدينة بمزية هى تعليم خاصة الخليفة ومن حوله حيث استدعي لهم أبا معشر السندي من المدينة، وكان إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير مؤدب ولد المهدي علي[٢] .ومما يدل على مكانة علماء المدينة عند الخليفة المهدي أنه استشارهم في إعادة بناء الكعبة وجعلها إلى ما كانت عليه في عهد عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، فقال الإمام مالك: " دعها فإني أخشى أن يتخذها الملوك ملعبة فتركها الخليفة، وقيل إن الخليفة المهدي استشار فقهاء الحجاز في نقض منبر الرسول ﷺ وإعادة صنعه، فقال له الإمام مالك، إن هذا المنبر مصنوع من

(١) سعد الموسى: المرجع السابق، ص ٥٨

(٢) ابن الخطيب: تاريخ بغداد ج ٦، ص ٢١٩؛ الذهبي: السير ج٨، ص ٢٠٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٠/ ١٧٥؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٥٩.

خشب الطرفاء، وإنه يخاف عندما ينقض أن ينكسر ولا يصلح مرة أخرى فتركه الخليفة نزولاً عند رأي الإمام مالك وغيره من علماء المدينة ومكة[١] .

أما الخليفة الهادي (١٦٩ هـ - ١٧٠هـ) فصحبه إسحاق بن عبد الرحمن الزهري (ابن غرير) الذي صحب المهدي قبله، وتولى قضاء الهادي حينما كان وليًّا للعهد أحد المدنيين وهو أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سيرة[٢] .

وفي عهد الرشيد (١٧٠هـ - ١٩٣هـ) صحبه عدد من أهل المدينة بعضهم سبق له صحبة المهدي كمحمد بن عروة بن هشام الذي استعمله الرشيد على ديوان الزنادقة، والعباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس الذي صحب الرشيد ثم المأمون، وعبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله الذي ولاه الرشيد القضاء بمكة والمدينة ثم عزله فقدم بغداد في عهد الرشيد عبد العزيز بن عمران بن ثابت بن الأعرج، واتصل بيحيى بن خالد البرمكي[٣] .

وولى الرشيد عددًا من المدنيين في أعمال مختلفة فإبراهيم بن سعد الزهري كان على بيت المال، وعبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري ولاه إمارة اليمن، وصحب الأمين (١٩٣هـ - ١٩٨هـ) عدد من المدنيين منهم العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس . وفي عهد المأمون (١٩٨هـ - ٢١٨هـ) كان من صحابته العباس

(١) غيثان، مرجع سابق، ص ٨٦، ٨٧.
(٢) ابن سعد: الطبقات، القسم المتمم ص ٤٠٨؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٦٠.
(٣) الموسى: المرجع سابق، ص ٦٠ - ٦١.

بن الحسن بن عبيد الله بن العباس[١] .وكان يستقبل العلماء والفقهاء، وخاصة علماء مكة والمدينة، فيجزل لهم العطاء ويعرض عليهم مناصب القضاء في الحجاز وفي مدن أخرى من بقاع العالم الإسلامي[٢] .

وكان للإمام مالك بن أنس رحمه الله مكانة كبيرة عند خلفاء بني العباس فقد رحل إليه وقابله المنصور، والمهدي، والهادي، والرشيد، والأمين، والمأمون وأخذوا عنه العلم[٣] . وسلك الرشيد نفس مسلك والده المهدي، فذهب إلى مدن الحجاز عند انتهائه من مناسك الحج وحرص على مقابلة العلماء والفقهاء، وأكثر من توزيع الصدقات على المحتاجين وتقديم الأعطيات للأشراف، بل وحرص أشد الحرص على مقابلة الإمام مالك بن أنس والفضيل بن عياض وغيرهما ليسمع منهما وعظًا وإرشادًا[٤] .

وكان الفقهاء والعلماء يُستشارون في عظائم الأمور من خلافة أو إدارة بلاد أو غيرها، فقد أشارت الروايات إلى أن الخليفة هارون الرشيد استشار الفقهاء والعلماء، وفيهم علماء المدينة ومكة في ولاية العهد لولديه الأمين والمأمون، بل

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢/ ١٢٣؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٦٢.
(٢) غيثان بن جريس: مرجع سابق، ص ٨٩.
(٣) السيوطي (جلال الدين ت ٩١١هـ): تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، (المطبعة الخيرية، ط١، ١٣٢٥هـ)، ص ٣٩؛ سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص ٦٣.
(٤) غيثان بن جريس: دراسات في تاريخ الحجاز، ص ٨٧.

ذهب أبعد من ذلك، إذ سافر إلى مكة ومعه العديد من الوزراء والأمراء، وقابل فقهاء وعلماء المدينة ومكة ليوقعوا على ترشيح ولديه من بعده.

كما سلك نفس المسلك أمير الحجاز داود بن عيسى العباسي، عندما أعلن الخليفة الأمين (١٩٣هـ - ١٩٨هـ) عزل أخيه المأمون من ولاية العهد وتولية ولده بدلا منه، فلم يكن من الأمير داود بن عيسى إلا أن استشار علماء الحجاز بشأن ما فعل الأمين فأشاروا عليه بخلع الخليفة الأمين والاعتراف بالمأمون بدلا منه فلن يعمل إلا بما أشاروا عليه به[١] .

وقد عاش خلفاء بني العباس الأوائل تلك العصور التي بدأ يظهر فيها التنوع في المذاهب والآراء الفقهية، فعندما كان علماء أهل الحجاز وعلى رأسهم إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس الذي كان يدرس ويفتي في بعض الأمور الشرعية على ضوء مذهبه، كان أيضًا الإمام أبو حنيفة وطلابه في العراق – أمثال أبي الحسن الشيباني وقاضي القضاة يعقوب أبي يوسف – يعلمون ويفتون في كثير من الأمور الفقهية التي تختلف في بعض فروعها عما كان يمارسه أهل الحجاز، لهذا كان على الخلفاء العباسيين أن يقاربوا بين وجهات النظر عند علماء الحجاز والعراق، وذلك لأهميتها عند الخلفاء، وبالتالي كانوا يسعون إلى اجتماع الطرفين والمناظرة بينهما حتى يصلوا في النهاية إلى التقارب فيما اختلفوا فيه، وقد حفظت المصادر الكثير من

(١) المرجع سابق، ص٩٠.

تلك المناظرات والاجتماعات التي كان يرأسها الخليفة العباسي[١] . ويتضح أن علماء المدينة كان لهم دوربارز وملموس خلال العصر العباسي خاصة الأول، ولم يكن تأثيره مقتصرًا على شؤون الحياة السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية في المدينة، وإن تأثيرهم كان أيضًا يمتد إلى خلفاء وأمراء بني العباس في العراق، بل وكانت هناك صلات وطيدة وقوية بين الخلفاء العباسيين الأوائل وبين علماء وفقهاء المدينة[٢] .

أما في العهد العباسي الثاني فقد بدأت قبضة الخلفاء تضعف في المدينة بسب انشغالهم بالمشكلات الداخلية، وتسلط الأتراك عليهم، واستئثارهم بالحكم دونهم، وبذلك قل اهتمام الخلفاء العباسيين بالمدينة، ولم يستطيعوا التصدي لثورات العلويين التي ازدادت في العهد العباسي الثاني، وتغلبت على حكم المدينة المنورة لفترة طويلة وعندما اتضح للعباسيين ضعفهم وعدم قدرتهم على حماية الحرمين الشريفين في مكة والمدينة أوكلوا مهمة حماية الحرمين إلى الدولة الإخشيدية في مصر سنة ٣٣١هـ[٣] .

وظلت المدينة تابعة للدولة الإخشيدية في مصر التي بدأ حكمها يضعف في الحجاز بعد وفاة كافور الإخشيدي ما نتج عنه استقلال الحسينيون بالمدينة

(١) المصدر نفسه، ص ٩٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٩٤.
(٣) محمد بن سليمان: منطقة المدينة المنورة ، ص٢٣٧، ٢٣٨.

وأعلنوا ولاءهم للفاطميين، وخلع طاعة العباسيين[١] .

ونتيجةً للأوضاع السياسية غير المستقرة في بلاد الحجاز، واستحواذ العباسيين عليها تارةً، والفاطميين تارةً أخرى[٢] ، تأثرت الحياة العلمية تأثيرًا كبيرًا ما أدى إلى تغير ملامحها، وسيطر الشيعة على العديد من منابر المدينة ووظائفها في القضاء، والخطابة إذ كان القضاء والخطابة بيد آل سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني منذ استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٨هـ، في حين كان لأهل السنة قاض واحد يقوم بجميع المهمات.

ولاشك أن هذا الصراع المذهبي انعكس على الحالة العلمية في القرن الرابع والخامس والسادس للهجرة، وهو ما أسهم بدوره في تراجع حركة النشاط العلمي والثقافي بالمدينة لاسيما في جانب الدراسات الفقهية السنية، ولكن لا يعني ذلك انعدام الحركة العلمية بل ظلت مستمرة على مدار السنين وإن كانت قليلة الأثر ضعيفة المردود إذا ما قيست بما عليه حال العلم في المدينة في القرنين الأول والثاني للهجرة، وكذا إذا ما قورنت بالحركة العلمية في الأقاليم المجاورة (مصر والشام والعراق)[٣] .

---

(١) فريال قطان: مرجع سابق، ص ٣٣١.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر في العصور الوسطى، (دار النهضة العربية، القاهرة ١٣٨٩هـ. ص٢١٨؛ المنصف: مرجع سابق، ص ٢٣.

(٣) ياسر أحمد نوار: أحوال الحجاز في ضوء رحلة ابن جبير تفسير جديد، (ضمن أبحاث الندوة =

وكيفما كان الأمر، فقد أدّى ضعف الخلافتين العباسية والفاطمية مع نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري إلى استغلال أمراء الحجاز لذلك الضعف فعملوا على الاستقلال بحكم بلدهم عن الخلافتين[١] .

أثرت العوامل الداخلية والخارجية تأثيراً مباشراً وبشكل سلبي على سير الحياة العامة في بلاد الحجاز خصوصاً على الجانب العلمي فيها، وقد وصفها بعض المؤرخين بقلة العلم[٢] ، وفي عهد صلاح الدين الأيوبي كان للمدينة مكانة مهمة لديه فاهتم بشؤونها العلمية وعين في المسجد النبوي أربعة وعشرين خادمًا من الخصيان يقومون على خدمة الحجرة النبوية الشريفة ويهتمون بشؤون المسجد المختلفة، يرأسهم شيح من الخدام يقال له بدر الدين الأسدي، وكانت مهمتهم في الوقت نفسه مراقبة تحركات أشراف المدينة حتى يضمن صلاح الدين ولاءهم له[٣] .

= العالمية السادسة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، الجزيرة العربية من بداية القرن الخامس الهجري وحتى نهاية القرن السابع الهجري، بجامعة الملك سعود، الرياض ١٤٢٧هـ)، ص١٩٦.

(١) المنصف: مرجع سابق، ص ٢١.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٧٣-٨١ ؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ٢/ ٢٦٤-٤٣٤.

(٣) فريال قطان: الحجاز، ص ٢٠٧.

وأثناء هذه الفترة الحرجة من تاريخ المدينة ظلت الحركة العلمية ترفد برجال الحديث والقراء الذين ازدحم بهم المسجد النبوي الشريف في العهد الأيوبي؛ بسبب زيارات العلماء إلى المدينة بعد حجهم إلى مكة، وظل العلماء يؤددون رسالاتهم المقدسة فيها جيلا بعد جيل، وكان كل عالم يلقى على طلبته العلوم التي تبحر فيها، وعليه فإنه لم يكن لكل منهم منهج مقرر يسير عليه في تدريسه، فالدراسة لم تسر وفق مناهج مقررة أو محددة، إذ أن المدرس هو الذي يقرر ما يريد تدريسه والطالب يختار المدرس الذي يلائمه(١) . ولم يكن للدولة فيه أي تدخل، اللهم إلا بعض المدارس، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن موقف أكثر العلماء من أرباب الدولة كان غير ودي، وتجدر الإشارة إلى أنه مع أواخر العهد الأيوبي وبدايات العهد المملوكي عدل العلماء عن موقفهم السابق، وصاروا أكثر اتصالا بحكام زمانهم(٢) . وعاشت المدينة في ظلهم فترات متفاوتة بين الاستقرار والاضطراب، وكانت الحياة فيها تسير في تيارين مختلفين، تيار العلم والعبادة وأعمال الكسب اليومية، وتيار الصراع السياسي والعسكري على الإمارة، من الأشراف الحسينيين، حكام المدينة المنورة. كما شهدت في هذا العهد عددًا من الأحداث المقلقة أصعبها البركان الذي انفجر في أقصى حرة واقم

(١) عائشة عبد الله باقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، (منشورات نادي مكة الثقافي، مكة د.ت)، ص ١٠٢.

(٢) هيام: الحج إلى الحجاز، مرجع سابق، ص ٢٨٦.

في رجب سنة ٦٥٤هـ، وتدفق نهر من الحمم باتجاه أحيائها، ثم انعطف بقدرة الله شمالا ونجاها الله من ويلاته[١] ، ولكن شب حريق أتلف الكثير من المسجد، فلما علم الخليفة العباسي المستعصم أمر بإصلاح مسجد الرسول ﷺ، ولكن بسبب سقوط بغداد وقتل الخليفة توقفت عمارته مدة، بعدها قام المسلمون بمصر واليمن بإكمال الأشغال التي انتهت في عهد الظاهر بيبرس[٢] .

ولم يكن للحياة العلمية في المدينة المنورة بريق الحياة العلمية في مكة المكرمة في هذه الفترة التاريخية المهمة ، حيث اتسمت بالرتابة العلمية. ونتيجة لتغير الظروف السياسية في المدينة، شكل الشيعة العدد الأكبر من علماء ومجاوري المدينة المنورة لاسيما وأن أميرها وسكانها الأصليون كانوا من الشيعة الإمامية أيام الفاطميين والأيوبيين، لذلك قصد المدينة علماء الشيعة. وفي عهده، اهتم صلاح الدين الأيوبي بالعلماء والمجاورين في الحرمين الشريفين[٣] الذين اهتموا بتدريس العلوم الشرعية، وكان أغلبهم من الوافدين على المدينة من الأمصار البعيدة، وكانت أسماؤهم مقرونة بمدن وأقاليم غير حجازية[٤] .

(١) بادشاه: مرجع سابق، ص ١٢٤.
(٢) المرجع السابق، ص ٧١.
(٣) فريال، مرجع سابق، ص ٣٢٢.
(٤) ياسر أحمد نوار: مرجع سابق، ص١٩٦.

٥- الرحلات العلمية[١] :

ظهرت الآثار العلمية الإيجابية والمثمرة للمدينة المنورة في العصر العباسي على سائر الأقطار الإسلامية[٢] . وكان للرحلات العلمية آثار كبيرة في التأكد من المعلومات ومعرفة حال الشيخ والعلو في الإسناد، أي أخذه من مصدره، ولمكانة المدينة في هذا الوقت رحل إليها كثير من طلاب العلم؛ لكثرة من كان بها من العلماء الكبار[٣] . واغتنام الفرصة للالتقاء ببعضهم في الحرم

(١) الرحلة لغة: جاء في معجم الوسيط، في مادة (رَحَلَ) مايلي: رَحَلَ عن المكان رَحْلاً، و رَحِيلاً، وتِرْحَالاً، الرَّحَالُ: العرب الرُّحَّلُ: الذين لايستقرون في مكان، و يحلون بماشيتهم، حيث يسقط الغيث، و ينبت المرعى. الرَّحَّالَةُ: الكثير الرِّحْلَةُ (الرِّحْلُ): العرب الرُّحَّلُ – الرُّحَّالُ. الرِّحْلَةُ: الإرْتِحَالُ، ج (رِحل) في التنزيل نقرأ قوله تعالى: ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ [سورة قريش، الآية رقم ٢] الرِّحْلَةُ: كتاب يصف فيه الرحالة ما رأى (الرُّحْلة): ما يرتحل إليه، يقال الكعبة رُحْلَة المسلمين، و أنتم رُحْلِي، (الرَّحُولُ): كثير الإرْتِحَال.
الرحلة اصطلاحًا: عرف العرب التقويم و البلدان من المراحل الأولى للتأليف، وخطوا مؤلفاتهم في رحلة عامة، و وصفوا فيها ما يرون و من يرون، و جعلوا كتبهم تأخذ طابعًا فنيًا أدبيًا تاريخيًا، و جغرافيًا، حتى أصبحت أشبه بالموسوعة الثقافية، و يهتمون في كتابة رحلاتهم بأسلوب التشويق، فجاءت رحلاتهم ناقصة من جانب علمية الموضوع، كما أن هناك أعلامًا قاموا برحلاتهم، و سجلوا منظوراتهم بدقة، لكن كتبهم لم تسلم من الضياع، وبعضهم دونوا مذكراتهم في رحلاتهم من غير أن تكون الرحلة سببًا في صناعة الكتاب، كأن يكون السبب اجتماعيًا، أو لطلب العلم، أو لاضطهاد مذهبي. للمزيد انظر/ إبراهيم مصطفى و آخرون، المعجم الوسيط، (ج ١، دار الدعوة، القاهرة ١٩٨٩)، ص ٣٣٤ – ٣٣٥؛ محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، (دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣ هـ)، ص ١١٣.
(٢) المنصف: مرجع سابق، ص ١٤١، ١٤٢ بتصرف.
(٣) الموسى: مرجع سابق، ص ٣٠٨.

النبوي، والأخذ عن بعضهم البعض في مختلف العلوم كلُ في مجال تخصصه مما أدى إلى وجود علاقات وتبادل علمي متميز بين المدينة وسائر مراكز العلم والمعرفة في الدولة الإسلامية ظهر في حياة المدينة العلمية[١] .

أ - الرحلات العلمية بين المدينة ومكة:

نظرًا لأهمية هذين المركزين لوجود الحرمين الشريفين بهما، وما يمثلانه كأماكن إسلامية مقدسة تحتل مكانة عالية في قلب كل مسلم تشهدان تجمعًا إسلاميًّا سنويًّا على أراضيها لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو الحج، فضلا عما سوى ذلك كأداء العمرة والزيارة والمجاورة فيهما، مما جعل الكثيرين من حملة العلم في هذين المركزين يحرصون أشد الحرص على الاستفادة من ذلك[٢] بأداء هذه الشعيرة وتكرارها لنيل الأجر من الله، وللقاء عدد من العلماء في رحاب البيت العتيق، ومن ذهب إلى المدينة المنورة والتقى بعلمائها من المدنيين والمجاورين. ومن العلماء الذين قدِموا على بلاد الحرمين الشريفين، صَدَقة بن يَسار، (توفّي في أوّل خلافة بني العبّاس)، وكان يتردد على المدينة حيث يصلي بمكة جمعة وبالمدينة جمعة[٣] ، وكان يجلس عندما يقدم المدينة في حلقة نافع، وقد سمع منه الإمام مالك في هذه الحلقة[٤]

(١) المنصف: مرجع سابق، ص ١٤٢ بتصرف.
(٢) المرجع السابق، ص ١٤٢، ١٤٣.
(٣) الفاسي: العقد الثمين ٥/ ٣٧.
(٤) المصعب الزبيري، مصدر سابق، ص ٣٦٢؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٣١١.

وقد روى صدقة عن القاسم بن محمد والزهري، وروى عنه محمد بن إسحاق[١] . صالح بن محمد بن زائدة الليثي (ت١٤٥هـ)، رحل من المدينة إلى البصرة ثم إلى مكة حيث التقى به المدنيون في مكة فعرفوا حاله، وقالوا: هذا خيارنا، ومن زهادنا فحدث عنه بمكة[٢] . وكان صاحب غزو وجهاد، فالتقى بالعالم المجاهد أبو إسحاق الفزاري رحمه الله وأخذ عنه[٣] .

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي مولى الأمويين (ت ١٥٠)، كان شيخًا للحرم علامة حافظًا، قدم المدينة وأخذ عن زيد بن أسلم، والزهري، وإسحاق بن أبي طلحة، وصالح بن كيسان، وصفوان بن سليم، وعكرمة، ومحمد بن المكندر، ونافع مولى بن عمر، وهشام بن عروة، وموسى بن عقبة، وجعفر بن محمد الصادق، وسهيل بن أبي صالح، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، ومحمد بن يوسف المدني، والمطلب بن عبد الله بن حنطب، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعبيد الله بن عمر العمري، وروى عنه يحيى بن سعيد وهو من شيوخه[٤] .

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/ ٤١٩؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٣١٢.

(٢) الفسوي يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي،ت ٢٧٧هـ: المعرفة والتاريخ،تحقيق: كرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م، ١/ ٤٢٦؛ ابن حجر، التهذيب ج ٤، ص ٤٠١؛ سعد الموسى: مرجع سابق، ص ٣١٢.

(٣) ابن حجر: المصدر السابق، ٤/ ٤٠١.

(٤) المصدر السابق، ٦/ ٤٠٢.

وقد ذهب ابن جريج إلى هشام بن عروة فقال:«يا أبا المنذر الصحيفة التي أعطيتها لفلان هى حديثك، قال: نعم». ورواية ابن جريج عن عدد من المدنيين يدل على بقائه مدة طويلة في مدينة رسول الله ﷺ، وعلت مكانته في المدينة ولذلك خرج عدد من العلماء يشيعونه عند خروجه من مكة[١] .

سفيان بن عيينة الهلالي (١٠٧ – ١٩٧هـ) إمام كبير من حفاظ العصر، شيخ الإسلام وشيخ الحجاز، قارب الإمام مالك في درجته حتى قال الشافعي: «لولا مالك لذهب علم الحجاز»[٢] وقد سمع من عدد كبير من العلماء المدنيين عبر عنهم بقوله: «جالست خمسين شيخًا من أهل المدينة»[٣] . وأثناء موسم الحج كان يحرص على لقاء العلماء، وخاصة المدنيون، ومن لا يقابله في موسم الحج كان يرحل ليقابله بالمدينة، وومن التقى بهم من علماء المدينة: "العلاء بن عبد الرحمن، وهشام بن عروة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومحمد بن عجلان، وموسى بن عقبة، ومحمد بن المنكدر، وسهيل بن أبي صالح، وصالح مولى التؤمة، وسالم بن أبي حفصة، وأبي سلمة بن دينار الأعرج، وسمي مولى أبي صالح، وصفوان ابن سليم، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، وإبراهيم بن سعد

(١) المصدر السابق، ٦/ ٤٠٥؛ السمهودي، وفاء الوفاء ٣/ ٩٧٧؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٣١٣.

(٢) الذهبي، السير ٨/ ٤٥٤؛ الذهبي، العبر ١/ ٢٥١؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٣١٣.

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد ٩/ ١٦٢؛ سعد الموسى: مرجع سابق، ص ٣١٣.

وغيرهم[1] وكان رحمه الله يأخذ عن المدنيين ويأخذون عنه، وقد طال عمره حتى بلغ إحدى وتسعين عامًا وحج ثمانين حجة رحمه الله[2].

وعبد الله بن الزبير الحميد أبو بكر (ت ٢١٩هـ)، إمام حافظ حجة لقب بعالم مكة صاحب المسند، قدم المدينة فسمع من عبد العزيز بن محمد الداروردي فلامه بعض المدنيين، فاعتذر بأنه قدم ليسلم على عبد العزيز ويكتب عنه، ولكنه كان يقدم عبد العزيز بن أبي حازم على عبد العزيز الداروري ويجعل ابن أبي جازم العمدة عند الاختلاف، فلما علم عبد العزيز الداروري برأيه قال: «يا قرشي قد بلغني رأيك وقد عزمت أن أخرج إليك كتبي وأصولي لتكتبها وأقرأها عليك». فأخرجها فإذا هي: «كتب صحاح وأحاديث مستقيمة»، وقصد عبد العزيز الداروري بذلك أن يؤكد للحميدي أنه صاحب حديث وأن لديه الشئ الكثير من الصحيح، وأن يرد على الذين يشككون في حديثه، كما سمع الحميدي من إبراهيم بن سعد وغيره من علماء المدينة[3].

الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، إمام حافظ فقيه صاحب المذهب المشهور عنه، أثنى عليه عدد من الأئمة كمالك وأحمد وغيرهما،

(١) الذهبي، السير، ٨/ ٤٠١، ٤٠٢؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ١١٧، ١١٨؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٣١٤.

(٢) المصدر السابق، ٨/ ٤٠٩، ٤١٧.

(٣) المصدر نفسه، ١٠/ ٦١٦؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب ٥/ ٢١٥؛ الموسى، مرجع سابق، ص ٣١٤.

ورحل إلى المدينة، وهو ابن نيف وعشرين سنة، ولازم مالك مدة، وأخذ عنه علمًا كثيرًا من ضمنه الموطأ، وكان الإمام مالك دائمًا يثنى عليه وعلى فهمه ونبوغه في العلم، بل ذكر أن مالكًا لما علم بقرب رحيل الشافعي عنه إلى مكة، وصله بهدية ثمينة وجزيلة[1] ، وسمع بالمدينة من إسماعيل بن جعفر، وإبراهيم ابن سعد، و عبد العزيز الداروري، وإبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، ،أخذ عنه من المدنيين إبراهيم بن المنذر الحزامي. ومن المكيين الذين كان لهم دور في الرحلات العلمية والعلاقات العلمية بين المدينة ومكة: عبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله (ت١٨٩هـ)، أمير مكة، وقاضي المدينة زمن الرشيد وهو من أهل المدينة[2] كما أن هناك الكثير من العلماء المدنيين ممن ظلوا يترددون بين مكة والمدينة منذ نشأتهم وحتى وفاتهم، بل إن الكثير منهم رغبوا في البقاء بمكة والسكن فيها لمدة طويلة، وخلال ذلك استطاعوا إمداد المركزين وحملة العلم فيهما بمختلف العلوم التي تلقوها، وأخذوا عن علماء مكة والمدينة وغيرهما، مثل: يعقوب بن حميد بن كاسب المدني (ت ٢١٤هـ)، ومحمد بن عثمان بن خالد المدني

(١) المنصف: المرجع سابق، ص ١٤٢.

(٢) الذهبي، السير ١٠/ ٧، ٨ ؛ الفاسي، العقد الثمين ١/ ٤١٨، ج٢، ص ٣٥ ، ٥/ ٢٣٠، ٢٤٠؛ ٢٦٠؛ السخاوي: التحفة اللطيفة ٣/ ٥١٥؛ الموسى: المرجع السابق، ص ٣١٥.

(ت٢٤١هـ)، وعبد الله بن مسلمة المدني (ت٢٢١هـ)، وأحمد بن محمد بن المنكدر التميمي المدني (ت٣١٤هـ)، الذي ولد بالمدينة، ونشأ نشأته العلمية بالحرمين الشريفين[١] . ونختتم الحديث عن العلاقات العلمية بين مكة والمدينة بذكر بعض من علماء المدينة ممن زاولوا أعمالا إدارية أو تجارية في المركزين وكان عطاؤهم العلمي خلال ذلك مثمرًا في المركزين، بل استطاعوا توطيد وترسيخ أواصر الصلات العلمية والتبادل الثقافي بين مكة والمدينة، واستمروا على ذلك حتى الأيام الأخيرة من حياتهم مثل: الزبير بن بكار بن مصعب الزبيري المدني (ت ٢٥٦هـ) الذي تلقى علومه المختلفة عن أشهر العلماء المدنيين والمكيين على السواء[٢] ، الأمر الذي أهله لأن يكون أحد علماء الحجاز المشهورين بعد ذلك، فصنف العديد من المصنفات في علوم متعددة، والتي لم يستغن عنها أحد من حملة العلم في المدينة وفي أقطار الإسلام الأخرى، بل كانت من أهم المصنفات العلية التي بلغ الاهتمام بها لدى حملة العلم ذروته، ونظرًا لذلك حظي باهتمام الخلافة العباسية فقامت بتعيينه قاضيًا لمكة المكرمة، ،أثناء ذلك قام بنشر علومه الكثيرة، ولم يمنعه ذلك العمل المكلف به من استمراره في عقد المجالس العلمية في مكة حتى قبل وفاته ببضعة

(١) الدهاس، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

(٢) الذهبي، السير، ١٢/ ٣١١، ٣١٢؛ عبد الرحمن المنصف، الحياة العلمية، ص ١٤٥.

أيام[1] . وكذلك الفقيه أحمد بن أبي بكر الزهري المدني (ت ٢٤١هـ) والذي تلقى العلم هو أيضًا عن أشهر علماء الحجاز، وقام بنشرها وتعليمها على السواء في مكة والمدينة فاستفاد الكثير من حملة العلم الحجازيين والوافدين من ذلك، وأخيرًا عبد الله بن بكر بن المتني السهمي المدني (ت ٤١٦هـ) الذي روى عن الكثير من علماء مكة، وحدث عنهم خلال ممارسته للتجارة.[2] ومما سبق يمكن القول: إن العلاقات بين مكة والمدينة كانت متميزة عن غيرها من الأقطار الإسلامية الأخرى، وذلك لقربهما من بعضهما ولارتيادهما علماء دار الإسلام أجمع خلال المناسبات الدينية، إضافة إلى وجود أهم مقدسات المسلمين فيهما، والتي تجعل علماء المسلمين خاصة ينشطون، ويتنافسون في نشر علومهم في الحرمين الشريفين، ولما لذلك من فوائد كثيرة[3] .

ب- الرحلات العلمية بين المدينة وسائر الأقطار الإسلامية:

أسهمت الرحلات العلمية بين المدينة وسائر الأقطار الإسلامية في توثيق التواصل العلمي والتفاعل الثقافي بين المدينة المنورة وغيرها من المدن الإسلامية عن طريق إمدادها بين الحين والآخر بالكثير من العلماء، الأمر الذي

(١) البغدادي: تاريخ بغداد، ٨/ ٤٧٢، الذهبي: السير، ١٢/ ٣١١- ٣١٤؛ الفاسي: العقد الثمين، ٤/ ٤٢٩؛ المنصف: مرجع سابق، ص ١٤٦.

(٢) المنصف: المرجع السابق، ص ١٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٦، ١٤٧.

أتاح لحملة العلم في الحجاز وعلى وجه الخصوص المتعلمين منهم التتلمذ على أيدي هؤلاء العلماء القادمين إليهم، ونزوح البعض من علماء المدينة إلى بعض الأقطار الإسلامية الأخرى، وعلى وجه الخصوص إلى العراق، حاضرة الخلافة العباسية، لتقلدهم بعض المناصب السياسية والأعمال الإدارية من قبل الخلافة العباسية في أنحاء أقطار الإسلام، ومن ثم قاموا أثناء ذلك بنشر علومهم المتعددة في تلك الأقطار، إضافة إلى قيام البعض منهم في تلك الرحلات بممارسة النشاط الاقتصادي، وكذلك نشرهم لعلومهم في الأقطار التي يمرون بها أثناء ممارستهم للنشاط الاقتصادي[1] ، وذلك من خلال إجراء العديد من اللقاءات العلمية ومجالسهم العلمية التي كانوا يعقدونها خلال رحلاتهم تلك لنشر علومهم بين أوساط المتعلمين في أمصار الخلافة العباسية[2] ، وفي مقدمتها العراق (الكوفة / البصرة / بغداد / واسط): إذ رحل علماء العراق إلى الحجاز لأداء مناسك الحج، وزيارة المسجد النبوي، ولقاء العلماء الحفاظ، والأخذ عنهم، كما رحل كثير من المدنيين إلى العراق للقاء العلماء، ولتولى القضاء وغيرها من الوظائف الأخرى، وممن توجه من المدينة إلى الكوفة أو من الكوفة إلى المدينة: عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيف (ت ١٣٨هـ) تلقى العلم في المدينة، وصار أحد علمائها، ولكنه سكن في الكوفة، ونشر علمه بها فكان مشايخه من المدنيين مثل: أبو أمامة أسعد بن سهل بن حنيف الأنصاري

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

الأوسي المدني، وسعيد بن المسيب، وعكرمة وغيرهم، ومن تلاميذه من أهل الكوفة، كالثوري، وشريك، وهشيم بن سعد، وعلي بن مسهر، وعبد الله بن أبي نمير، وزهير بن معاوية، وأبو خالد الأحمر، ويعلي بن عبيد[١] .

- يحيى بن سعيد الأنصاري (ت١٤٣هـ)، أحد العلماء الكبار في الحجاز، ويقارن بمالك، تولى القضاء على الحيرة، ثم قدم الكوفة، أبو جعفر المنصور بالهاشمية فولاه القضاء على الهاشمية، وتتلمذ عليه من أهل الكوفة يزيد بن هارون، وطلحة بن مصرف، والثوري، وزهير بن معاوية، وجعفر بن عون[٢] .

وعيسى بن أبي عيسى الحناط (ت ١٥١هـ) ، قدم الكوفة في تجارة له فلقيه عامر الشعبي فأخذ كل منهما عن صاحبه، واختلف في أصل عيسى هل هو مدني نزل الكوفة أو كوفي قدم المدينة وروى عنه من أهل الكوفة ابن أبي فديك، ووكيع بن الجراح، وصفوان بن شعيب الملي، وعبيد الله بن موسى، وأبو خالد الأحمر[٣] .

- محمد بن إسحاق بن يسار(ت ١٥١هـ) ، إمام المغازي، والسير، قدم الكوفة على المنصور فسمع منه الثوري، والحمادان، وزهير بن معاوية، ويزيد بن هارون، وسمع هو من عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد النخعي[٤] .

---

(١) ابن سعد: الطبقات القسم المتمم، ص ٢٩٩؛ سعد الموسى: الحياة العلمية، ص ٣١٧، ٣١٨.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة ٣/ ١٥٠؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٧/ ١١١، ١١/ ٢٢٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٦/ ١٤٩؛ سعد الموسى: المرجع السابق، ص ٣١٨.

(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/ ٢٤٤؛ السخاوي: التحفة اللطيفة ٣/ ٣٨٦؛ سعد الموسى: الحياة العلمية، ص ٣١٩.

(٤) الذهبي: السير ٧/ ٣٤، ٣٥؛ سعد الموسى: الحياة العلمية، ص ٣١٩.

– الوليد بن كثير (ت ١٥١هـ) روى عنه من أهل الكوفة ابن أبي فديك، وعيسى بن يونس وغيرهم. ونجد كذلك صالح بن حسان النضري الذي أدرك زمن المهدي، وقدم الكوفة من المدينة فسمع منه من أهل الكوفة الهيثم بن عدي، وأبو داود الحفري عمر بن سعد. وتمدنا المصادر كذلك عن عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حنظلة الغسيل (ت ١٧١هـ) محدث وفقيه قدم الكوفة وأقام بها فروى عنه وكيع بن الجراح وجباره بن مغلس، ويحيى بن عبد الحميد الحماني[١] .

ومن أهل الكوفة من قدم المدينة فنهل من معين العلم الصافي أمثال: أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت١٥٠هـ)، الإمام الفقيه صاحب المذهب المنسوب إليه، قدم المدينة وأخذ عن علمائها كأبي الزناد، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وعكرمة، ونافع ومحمد بن علي بن الحسين، والإمام مالك بن أنس، وقد تبادل مع أبي حنيفة النقاش حول عدد من المسائل الشرعية وأثنى كل منهما على صاحبه.

وعبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن (ت ١٩٢هـ)، إمام حافظ مقرئ يقتدي به ممن لقب بشيخ الإسلام.

حدث عن عدد من المدنيين منهم: هشام بن عروة، ومحمد بن عجلان، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومحمد بن إسحاق، وقرأ على نافع المدني القرآن

(١) ابن سعد، الطبقات القسم المتمم، ص ٤٦٩؛ الذهبي، السير ٧/ ٣٢٤؛ سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص ٣٢٠.

وأخذ عن الأمام مالك. وروى عنه الإمام مالك بعض الأحاديث، وكانت بينه وبين إمام دار الهجرة صداقة. حتى قيل أن كل ما يرويه مالك في الموطأ فيقول: «بلغني عن علي رضي الله عنه أنه سمعه من ابن إدريس». وبلغ من حبه لأهل المدينة ومعرفته لمكانتهم ومنزلتهم العلمية أنه كان يسلك في كثير من فتاواه ومسائله مسالك أهل المدينة مخالفًا بذلك أهل الكوفة[١] .

- أبو بكر بن عياش (ت ١٩٣هـ)، مقرئ، فقيه محدث، شيخ الإسلام قدم المدينة وحدث عن عدد من علمائها منهم هشام بن عروة، وممن لقي بالمدينة الحسن بن الحسن، وكان بينهما حوار علمي[٢] .

- زيد بن الحباب أبو الحسين العكلي (ت ٢٠٣هـ)، إمام حافظ ثقة، تكلف الارتحال إلى المدينة لسماع حديث من أحد علمائها، فقد كان جالسًا عند سفيان الثوري بالكوفة فقال له رجل: «أنا خلفت أسامة[٣] حيًّا بالمدينة، قال زيد: فركبت راحلتي وأتيت المدينة فلقيت أسامة». وقابل في رحلته عددًا من العلماء وأخذ عنهم مالك بن أنس، وابن أبي ذئب، وعبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، وأسامة بن زيد بن أسلم، والضحاك بن عثمان. وتشير المصادر إلى

(١) عبد الغني الدقر: مالك بن أنس، (دار القلم، دمشق ١٤٠٢هـ)، ص ٢٤٦، ٢٤٧؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٣٢٢، ٣٢٣.

(٢) الذهبي: السير، ٨/ ٤٣٥، ٤٤٠؛ الموسى: مرجع سابق، ص٣٢٣.

(٣) أسامة: هو أسامة بن زيد الليثي من كبار علماء المدينة ت ١٥٣هـ. انظر / السخاوي: التحفة اللطيفة، ١/ ٢٨٧.

خالد بن مخلد القطواني (٢١٣هـ)، إمام محدث حافظ مكثر مغرب، رحل إلى المدينة وأخذ عن علمائها كمالك، وسليمان بن بلال، ونافع بن أبي نعيم، وغالب مروياته عن أهل المدينة[١] وَمَذْهَبُ مُعْظَمِ عُلَمَاءِ الْحِجَازِ وَالْكُوفَةِ التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُمَا وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ وَأَشْيَاخِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ[٢] .

أما الرحلة من المدينة إلى البصرة فقد رحل إليها عدد من المدنيين منهم: سُهَيْل بْنِ أَبِي صَالِح (توفي بالمدينة سنة إحدى ومائة.)، إمام محدث من الكبار، صادق، وكان والده يتردد على العراق لبيع السمن والزيت، وهو كذلك زار مدن العراق، فروى عنه أهل العراق من أهل البصرة وأهل الكوفة. وقد أخذ عن البصريين ومنهم شعبه بن الحجاج، وروح بن القاسم. وأخذ عنه جرير بن حازم، وحماد بن زيد، ووهيب بن خالد، وإسماعيل بن علية. إضافة إلى ما أشارت إليه المصادر التاريخية وهو يحيى بن سعيد الأنصاري (ت ١٤٣هـ)، إمام علامة مجود، رحل إلى العراق فتتلمذ عليه عدد من علمائها منهم: شعبة والحمادان، وابن علية، ويحيى بن سعد القطان، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي. فيحيى قدم البصرة وسكن عند عبد الوهاب الثقفي، وأخذ عنه عدد من طلاب العلم من البصريين والواردين عليها.

---

(١) ابن سعد: السير ٩/ ٤٣؛ الذهبي: السير ١٠/ ٢١٧؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٣٢٣٣.

(٢) عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ): الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، (تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة / تونس، دار التراث، المكتبة العتيقة، ١٣٧٩هـ)، ١/ ٧١.

إضافة إلى هشام بن عروة بن الزبير (ت ١٤٥هـ) إمام محدث فقيه، رحل إلى العراق بطلب من أبي جعفر المنصور، ووصل إلى البصرة فأخذ عنه علماؤها ومنهم: أيوب السختياني[١] .

- أبو رافع إسماعيل بن رافع المدني القاص (ت ١٥٠هـ)، تعلم بالمدينة ثم رحل إلى البصرة فسكنها، وروى عنه أهلها، ولم يروا عنه المدنيون شيئًا لأنه انتقل إلى البصرة قبل أن يُعرف ويشتهر[٢] .

أما الرحلة من البصرة إلى المدينة فكان من روادها عبد الله بن أرطبان (ت ١٥١هـ)، الإمام القدوة، عالم البصرة، رحل إلى الكوفة ودمشق ومكة والمدينة، وكان من أفضل علماء البصرة بعد الحسن البصري، وقد أخذ عن عدد من علماء المدينة منهم القاسم بن محمد، ونافع، وسالم بن عبد الله[٣] .

وفي العصر العباسي عُرف معمر بن راشد الأزدي نزيل اليمن (ت ١٥٤هـ)، إمام حافظ شيخ الإسلام عاش مدة من الزمن تعلم فيها بالبصرة، ثم سكن اليمن، وتتلمذ عليه إمامها عبد الرزاق الصنعاني صاحب المصنف، وقد

---

(١) الذهبي، السير ٦/ ١٨؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب ج١، ص ٣٩٩؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٣٢٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٧/ ١٢٢؛ ابن حجر: تهذيب النهذيب ١/ ٢٥٨؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٣٢٥.

(٣) ابن حجر: المصدر سابق، ٦/ ١٥ ؛ الموسى: مرجع سابق ٣٢٦.

رحل معمر لطلب الحديث بالمدينة، وقال عن رحلته أنه كان مملوكًا فأرسل إلى المدينة بتجارة، فرأى الزهري حوله طلبة العلم فعرض معمر ما معه من العلم عليه[١] . ويظهر أن معمرًا أقدم إلى المدينة مرتين الأولى عندما كان مملوكًا قدم من البصرة، والثانية عندما تحرر وقدم من اليمن، وقد تكون له رحلات أخرى [٢] .

– شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدي (ت ١٦٠هـ)، الإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث، عالم أهل البصرة وشيخها، مع كثرة العلماء في البصرة كأيوب والحسن البصري، ومحمد بن سيرين إلا أنه لم يكتف بذلك فرحل إلى الحج ولم يكن الدافع لذلك هو الحج؛ إنما كان قصده مقابلة بن عطاء الله الطائفي، وعندما قابله أخبره ابن عطاء أنه سمع الحديث من سعد بن إبراهيم قاضي المدينة، وكان ذلك في حضور الإمام مالك فقال مالك لشعبة: «سعد بن إبراهيم لم يحج هذا العام، فرحل شعبة إلى المدينة فلقى سعد بن إبراهيم»[٣] .

– وهيب بن خالد بن عجلان (ت ١٦٥هـ)، الحافظ الكبير المجود، وهذا الإمام لم يقتصر على علم أهل البصرة، بل رحل إلى المدينة لمقابلة جمهرة من

(١) الذهبي: السير، ٧/ ٦؛ الموسى: مرجع سابق، ص٣٢٧.
(٢) الموسى: المرجع سابق، ص٣٢٧.
(٣) الخطيب: الرحلة في طلب الحديث ص ١٥٢، ١٥٣؛ الموسى: مرجع سابق، ص٣٢٧ ، ٣٢٨.

التابعين وتابعيهم. وكان وهيب من أبصر البصريين في الحديث والرجال قال عن رحلته:«قدمت المدينة فلم أر أحدًا إلا وأنا أعرف وأنكر غير مالك، ويحيى بن سعيد»[(١)] .

- أبو بكر الهذلي سلمى بن عبد الله بن سلمى (ت١٦٧هـ) الإخباري الذي كان من أعلم الناس بالأيام والأخبار، وقد قدم المدينة مع الخليفة أبي جعفر المنصور وطلب أبو جعفر رجلا يعرفه جغرافية المدينة ومواقعها التاريخية فقال الناس:«لا نعلم أحدًا أعلم بذلك من أبي بكر»[(٢)] .

- جرير بن حازم الأزدي (ت ١٧٠هـ)، إمام حافظ ثقة عمر دهرًا طويلا فقابل عددًا من كبار التابعين كالحسن، وأبي رجاء العطاردي، وقيل أنه روى عن آخر الصحابة موتًا بمكة أبي الطفيل عامر بن واثلة ورأى جنازته"[(٣)] .ثم قدم المدينة وروى عن عدد من علمائها ومنهم نافع مولى ابن عمر، وسالم بن عبد الله بن عمر، وزيد بن أسلم، وسهيل بن أبي صالح[(٤)] .

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ١/ ٤٣٠؛ الذهبي: السير ٧/ ٢٠٣، ٢٠٤؛ الموسى: مرجع سابق، ص٣٢٨.

(٢) اليغموري «يوسف بن أحمد بن محمود ت ٦٧٣هـ»، نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني، (تحقيق: رودلف زلهايم، دار فرانتس شتاين بفسبادن، ألمانيا ١٣٨٤هـ) ، ص ٤٠؛ الموسى: مرجع سابق، ص٣٢٩.

(٣) الذهبي: السير ٧/ ٩٨، ٩٩.

(٤) المصدر السابق، ٧/ ٩٨، ٩٩.

- عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ)، إمام ناقد مجود سيد حفاظ البصرة وأحد أركان الحديث بالعراق، قدم المدينة ولازم الإمام مالك مدة طويلة من الزمن[١] .

وقد عول الكثير من طلبة العلم بالبصرة على أهمية الرحلة إلى المدينة والتتلمذ على علمائها في مختلف الميادين العلمية، منهم: علي بن إسماعيل البصري الخاشع (ت ٣هـ) [٢] ، وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) الذي ارتحل لطلب اللغة والأدب، مما أهله بأن يكون أشعر الشعراء في عصره، وأبو العباس محمد بن يونس السامي البصري (ت ٢٨٦هـ) الذي بلغ عدد شيوخه الذين كتب عنهم نحو ما يزيد عن ألف ومائة شيخ[٣] .

وقد أسهم عدد كبير من العلماء العراقيين في تطور الحياة العلمية في المدينة وإثرائها في العصر العباسي منهم: يحيى بن المبارك اليزيدي البصري (ت ٢٠٢هـ) الذي تتلمذ عليه الكثير من الطلاب في الحرمين الشريفين، محمد بن يحيى بن فياض البصري (ت ٢٤٩هـ)، وأحمد بن هارون البرديجي (ت ق٤هـ) والذين عقد لهم العديد من المجالس العلمية في الحرمين الشريفين أثناء أدائهم لفريضة الحج[٤] .

---

(١) الموسى: مرجع سابق، ص٣٢٧

(٢) الذهبي: معرفة القراء الكبار، ١/ ٢٠١؛ المصنف، مرجع سابق، ص ١٥٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٨.

أما الرحلة بين المدينة وبغداد فقد عُرفت بعدما تأسست بغداد في عهد أبي جعفر المنصور عام ١٤٥هـ، وصارت عاصمة للدولة العباسية، فرحل إليها الناس من أمصار العالم الإسلامي، وقد رحل إليها من المدنيين عدد كبير من علماء وشعراء وقادة، وغيرهم، ولم يذكر عن أحد من علماء بغداد أنه رحل إلى المدينة سوى عدد قليل منهم محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة وهو كوفي سكن بغداد، وقد قدم من المدينة إلى بغداد عدد من العلماء بعضهم بطلب من خلفاء بني العباس، وخاصة أبا جعفر المنصور، ولحداثة مدينة بغداد فإن جميع علمائها من أهل الأمصار الأخرى من مدن العراق والشام وخُرسان وغيرها، ومن المدنيين الذين قدموا بغداد: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ١٤٨هـ) الملقب بالصادق الأمين، قدم بغداد وعاش بها، وقابل الإمام أبا حنيفة، وسأله أبو حنيفة أربعين مسألة، فأجاب عنها بما أعجب أبا حنيفة. وممن قدم بغداد محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب (ت ١٥٩هـ)، وهو إمام فقيه لقب بشيخ الإسلام، أقدمه المهدي بغداد، وحدث بها، ثم عاد إلى المدينة فمات بالكوفة قبل أن يصل إلى المدينة[١].

- نجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر المدني (ت ١٧٠هـ)، من الأئمة المحدثين، ومن أبرز أصحاب المغازي والأخبار، اصطحبه الخليفة

(١) الموسى: مرجع سابق، ص٣٣١.

المهدي معه إلى بغداد عام ١٦٠هـ، وأمر له بألف دينار، وقال له:«تكون بحضرتنا فتفقه من حولنا»[١] .

– عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم (ت ١٧٦هـ)، قدم بغداد وتولى قضاء عسكر المهدي لأمير المؤمنين هارون الرشيد، وقد حدث ببغداد، وممن روى عنه ببغداد، سريح بن النعمان الجوهري، وعبد الله بن صالح العجلي[٢] . و إسماعيل«بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري الزرقي مولاهم أبو إسحاق القاري، وهو من أهل المدينة قدم بغداد فلم يزل بها حتى مات وهو صاحب الخمس مائة حديث التي سمعها منه الناس»، وقال ابن خراش: «صدوق» وقال الهيثم بن خارجة مات ببغداد سنة (١٨٠هـ) كان ثقة شارك مالكا في أكثر شيوخه[٣] .

– محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، الإمام العلامة صاحب الكتب والمصنفات العديدة في التاريخ والمغازي، انتقل من المدينة إلى بغداد في محاولة لإصلاح وتحسين أوضاعه الاقتصادية، وكون ببغداد مكتبة ضخمة من طول مكثه بها، وقد نقل هذه المكتبة الخاصة به من الجانب الغربي إلى الجانب

(١) الخطيب: تاريخ بغداد ١٣/ ٤٢٨؛ الذهبي: السير ٧/ ٤٣٩؛ الذهبي: العبر ١/ ١٩٩، ٢٠٠؛ الموسى: مرجع سابق، ص٣٣٣.

(٢) ابن حجر: التهذيب ٦/ ٣٨٨؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ٣/ ٨٩؛ الموسى: مرجع سابق، ص٣٣٣.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٢٨٧.

الشرقي ببغداد، وتولى القضاء لهارون الرشيد ببغداد في عسكر المهدي وبقى في عمله أربع سنوات. وقد تتلمذ على يديه ببغداد عدد كبير من طلاب العلم منهم: كاتبه محمد بن سعد صاحب الطبقات الكبرى، ،أبو بكر بن أبي شيبة[١] .

وممن قدم بغداد من أهل المدينة وحدث بها عبد الرحمن بن أبي الزناد (ت ١٧٤ هـ)، وابنه محمد (ت ١٧٤ هـ)، وأبو القاسم بن أبي الزناد، وعثمان بن عبد الرحمن الوقاصي (توفى في خلافة هارون الرشيد)[٢] .

وقد رحل من بغداد إلى المدينة علماء كُثر أشهرهم: محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩ هـ)، قاضي القضاة، فقيه العراق، صاحب الإمام أبي حنيفة، تفقه على الإمام مالك وأقام عنده ثلاث سنين، وزيادة، وسمع منه أكثر من سبعمائة حديث، وعندما عاد إلى بغداد صار يحدث الناس عن مالك فيكثر الناس في حلقته[٣] .

إضافة إلى أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) ولد سنة ١٦٨هـ. بالبصرة،

(١) الخطيب: مصدر سابق، ٣/ ٤، ٥؛ ٦/ ٢١٩؛ الذهبي، السير ٨/ ٢٠٣؛ ابن حجر، المصدر السابق، ١/ ٢٨٧؛ الموسى: مرجع سابق، ص٣٣٥.

(٢) الموسى: المرجع سابق، ص٣٣٥

(٣) الخطيب: المصدر السابق، ٢/ ١٧٣، ١٧٤؛ الذهبي: السير ٩/ ١٣٥؛ الموسى: مرجع سابق، ص٣٣٦.

فنسب إليها، وارتحل إلى بغداد وأقام فيها ملازمًا لأستاذه الواقدي يكتب له، حتى عرف باسم «كاتب الواقدي». وكانت له رحلة إلى المدينة والكوفة، ولا ريب في أن رحلته إلى المدينة تمت قبل سنة ٢٠٠هـ، فهو يذكر أنه لقي فيها بعض الشيوخ عام ١٨٩هـ كما أن أكثر الذين روى عنهم من أهلها أدركتهم المنية قبل مطلع القرن الثالث. وقد كان أحد أجداده مولى لبني هاشم، ولكن ابن سعد نفسه كان قد تحلل من عهدة الولاء، وفي نسبته أنه زهري، وهي نسبة غريبة بعدما صرحت الروايات بولاء أهله لبني هاشم. ونستطيع أن نقول إن محمد بن سعد كان على اتصال بأكبر رجال الحديث في عصره، سواء أكانوا شيوخًا أم تلامذة. ومن يطلع على الطبقات[١] .

إضافة إلى أحمد بن المعذل الفهري (ت ق ٣هـ) الذي ارتاد الحجاز وسمع بالمدينة[٢] ، وكان حرب بن محمد الطائي الموصلي (ت ٢٢٦هـ) ممن سمع وكتب عن مالك بن أنس، ونظرائه في الحجاز، وكذلك ابنه على ابن حرب الموصلي (ت ٢٦٥هـ) الذي رحل مع أبيه إلى المدينة، فتعلم من علمائها مختلف العلوم الشرعية والاجتماعية واللغوية، أما خلف بن هشام بن ثعلب (ت ٢٢٩هـ) فقد لازم الكثير من علماء المدينة مثل مالك، وإسحاق المسيبي الذي أخذ عنه علم القراءات، إضافة إلى اهتمامه الكبير بعلم النحو[٣] .

(١) إحسان عباس: مقدمة تحقيق كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢.
(٢) ابن النديم: الفهرست، ص ٢٤٨هـ؛ المصنف: مرجع سابق، ص ١٥٥.
(٣) المرجع السابق، ص ١٥.

ومن واسط محمد بن حمدون الواسطي الحذاء (ت ق٣هـ)، ومحمد بن عمرو بن عون الواسطي (٢٧٠هـ) وكليهما قرأ القرآن على قنبل وغيره من علماء المدينة في علم القراءات، وكذلك سعيد بن سليمان الواسطي (ت ٢٢٥هـ) الذي لم ينقطع عن رحلاته إلى المدينة منذ نشأته العلمية وحتى آخر حياته، فأخذ عن علماء المدينة وعن غيرهم خصوصًا أثناء موسم الحج[١].

ونظرًا للجوار والقرب بين بلاد اليمن والحجاز فضلاً عن حب حملة العلم في اليمن للرحلة إلى مكة والمدينة فقد كان لهم قسط وافر من العلم في فيهما مثل: محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني (ت ٢٤٣هـ) الذي رحل إلى مكة والمدينة وتتلمذ على أشهر العلماء.[٢] ومن القراء عبد الله بن أحمد بن بكران أبو محمد الداهري الضرير، والداهرية من قرى نهر عيسى[٣]. وكان أحد الحذاق، من أصحاب سبط الخياط، وقد روى عن أبي غالب بن البناء، وأقرأ القراءات، وحج وجاور ثم مات بالمدينة، سنة خمس وسبعين وخمسمائة[٤].

أبو عبد الله القرطبي محمد بن عمر بن يوسف الأنصاري، المقرئ الفقيه المالكي الزاهد. قرأ القراءات على الشاطبي، وسمع منه ومن عبد المنعم بن

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٥.

(٣) انظر: غاية النهاية «١/ ٤٠٥».

(٤) الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ص ٣١١.

عبد الله الفراوي، ومحمد بن عبد الرحمن الحضرمي، وهبة الله بن علي البوصيري وغيرهم. وكان أستاذا في معرفة القراءات، والتفسير والنحو، كثير الحج والمجاورة بالمدينة، جلس للإقراء بعد موت الشاطبي، ثم تزهد، توفي في مستهل صفر، سنة إحدى وثلاثين وستمائة بالمدينة، وكان له قبول تام، من الخاص والعام[1] . محمد بن أحمد بن علي بن غدير، الشيخ الإمام المقرئ المجود، شمس الدين أبو عبد الله الواسطي، رفيقنا. ولد في حدود سنة سبعين وستمائة، أو بعدها، وحج وجاور بالمدينة، سنة في صحبة الشيخ عز الدين الفاروثي، فقرأ عليه القراءات العشرة[2] .

أما بلاد الشام فقد كان بينها وبين المدينة منذ الفتح الإسلامي علاقات علمية حيث وصل إلى بلاد الشام عدد من علماء الصحابة الكبار وكان كل منهم يحرص على نشر الإسلام وتعليم الناس، وإفادتهم وتوصيل أكبر قدر من المعرفة حول الإسلام إلى أفهام الناس وأفئدتهم وفي العصر العباسي نمت النهضة العلمية وزادت الصلات الثقافية حيث ارتحل إلى بلاد الشام عدد من علماء المدينة منهم: إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة (ت ١٤٤هـ)، كان مع صالح بن على العباسي بالشام فسمع منه الشاميون، ومنهم الوليد بن مسلم، وإسماعيل بن عياش. إضافة إلى ارتحال صالح بن محمد بن زائدة المدني

(١) المصدر السابق، ص ٣٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠٠.

أبو واقد الليثي (ت ١٤٥هـ)، عالم محدث صاحب غزو، قدم دمشق في طريقه إلى الغزو مع الوليد بن هشام وممن كان معهم في الجيش سالم بن عبد الله بن عمر، أخذ عنه أهل الشام ومنهم (أبو إسحاق الفزاري)[١] .

- إسحاق بن إبراهيم الحنيني أبو يعقوب المدني (ت ٢١٦ هـ)، نزل مدينة طرسوس، من بلاد الشام، وقد روى عنه عدد من أهل الشام، ومنهم علي بن ميمون الرقي، وعلي بن زيد الفرائضي، ومحمد بن عوف الطائي، ومحمد بن الهيثم أبو الأحوص، وأحمد بن إسحاق الخشاب[٢] .

وممن ارتحل من الشام إلى المدينة عقيل بن خالد الأيلي (ت ١٤١هـ) إمام وحافظ ثبت، أتى المدينة وبقى بها حيث كان من شرطتها، فحدث عن علمائها، ومنهم عكرمة، والقاسم بن محمد، ونافع مولى ابن عمر، وعراك بن مالك زكان بينه وبين الزهري علاقات أخوية وثيقة، وكان يجتمع مع الزهري بضيعة الزهري بأيلة فيكتب عنه[٣] .

- يونس بن يزيد بن أبي النجاد مشكان الأيلي (ت ١٥٢هـ)، إمام محدث ثقة، كان من الملازمين لابن شهاب الزهري، كان يجتمع به في أيلة، ويصاحبه

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٤/ ٤٠١؛ الموسى: مرجع سابق، ص٣٣٩.
(٢) المصدر السابق، ١/ ١٩٤؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ١/ ٢٨٨؛ الموسى: مرجع سابق، ص٣٤٠.
(٣) الذهبي: السير، ٦/ ٣٠١، ٣٠٢؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/ ٢٥٥؛ الموسى: مرجع سابق، ص٣٤١.

إذا سار إلى المدينة، وقد صحب الزهري اثنتي عشرة سنة أو أربع عشرة سنة وأخذ عنه علما كثيرًا، حتى صار أثبت من روى عنه. وقد روى يونس عن بعض علماء المدينة كنافع مولى ابن عمر، والقاسم بن محمد، وعكرمة، وهشام بن عروة، وسليمان بن بلال[1] .

- شُعيب بن أبي حمزة (ت ١٦٢هـ)، إمام ثقة متقن حافظ، قدم المدينة وسمع بها من عبد الله بن عبد الرحمن أبو طولة، وزيد بن أسلم، وابن المنكدر، وسمع من الزهري، زكان يرافقه من الشام إلى مكة، وكانا يتدارسا القرآن في رحلتهما.

- الوليد بن مسلم (ت ١٩٥هـ)، إمام حافظ، عالم أهل الشام في زمانه، قدم المدينة وكان يحدث بها في مواسم الحج وفي طريقه إلى مكة، ثم عند قدومه من مكة، وهو في طريقه إلى الشام، لقي الإمام مالك واستشاره في قصر الصلاة في موسم الحج، حيث دار نقاش حول هذا الموضوع في هذه الحجة التي حجها الوليد بن مسلم. كما قدم إلى المدينة من علماء الشام طلحة بن عبد الملك الأيلي، من سكان أيلة في جنوب بلاد الشام، وقد قدم المدينة فروى عن القاسم بن محمد، ولإمام مالك بن أنس، وكذلك جاء إسحاق بن عيسى بن نجيح أبو يعقوب المعروف بابن الطباع (ت ٢١٥هـ)، قدم المدينة وروى عن مالك بن أنس،

(١) المصدر السابق،، ٦/ ٢٩٧؛ ابن حجر تهذيب التهذيب، ١١/ ٤٥٠؛ الموسى: المرجع سابق، ص٣٤١.

وشريك بن عبد الله المدني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وأنس بن عياض أبو ضمرة الليثي[١] ، عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي (ت ٢٤٥هـ)، وأحمد بن الوليد الرملي (ت ٢٧٥هـ)، أحمد بن أبي الحواري (ت ٢٤٦هـ) الذين سمعوا كثيرًا من سفيان بن عيينة والوليد بن مسلمة، وطبقتهما من علماء الحجاز والوافدين، وكذلك خيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسي (ت ٣٤٣هـ)، والحسين بن حبيب الحصائري الدمشقي (ت ٣٣٨هـ) وسليمان بن أيوب الطبراني الشامي (ت ٣٦٠هـ) وجميعهم تتلمذوا على يد علماء المدينة ومكة مثل: الحافظ محمد بن إسماعيل الصائغ، والإمام البغوي (ت ٢٨٦هـ)، الإمام عبد الله بن أبي مسرة، وغيرهم[٢] . الإمام الفقيه الزاهد شيخ الإسلام أبو محمد الشامي الحطيني الشافعي شيخ الحرم، ولد بعد التسعين وثلاث مائة، وسمع: من أبي الحسن علي بن السمسار وعبد الرحمن بن عبد العزيز ابن الطبيز ومحمد بن عوف بدمشق ويزور قبر النبي ﷺ كل سنة مع أهل مكة فيخرج فمن أخذ بيده كان في مؤونته حتى يرجع وكان يمشي حافيا من مكة إلى المدينة وسمعت من يشكو إليه أن نعليه سرقتا فقال: اتخذ نعلين لا يسرقهما أحد يعني الحفاء[٣] .

(١) ابن سعد: الطبقات ٧/ ٥٢٠؛ الذهبي: السير ٦/ ١٣٣؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/ ١٩؛ ١١/ ٣٣٤؛ عياض: المدارك ٢/ ٤٢٠؛ الموسى: مرجع سابق، ص٣٤٣.

(٢) المصنف، مرجع سابق، ص ١٥٨.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٨٣.

– عَليّ بن الْحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الْحُسَيْن الإِمَام الْجَلِيل حَافظ الْأمة أَبُو الْقَاسِم بن عَسَاكِر ولد فِي مستهل سنة تسع وَتِسْعين وَأَرْبَعمِائَة وهو إِمَام أهل الحَدِيث فِي زَمَانه وختام الجهابذة الْحفاظ، وَسمع خلائق وعدة شُيُوخه ألف وثلاثمائة شيخ وَمن النِّسَاء بضع وَثَمَانُونَ امْرَأَة وارتحل إِلَى الْعرَاق وَمَكَّة وَالْمَدينَة لطلب العلم ولَهُ تَارِيخ الشَّام[1] .

أما العلاقات والرحلات بين المدينة ومصر فقد بدأت منذ الفتح الإسلامي وأوردت كتب التراجم أسماء كثير من علماء الحجاز الذين حرصوا على العلم والاستزادة منه فشدوا الرحال إلى مصر لتلقي العلم على أيدي علمائها، وكذلك أوردت أسماء العديد من العلماء المصريين الذين حرصوا على شد الرحال إلى المدينة للنهل من علماء الحجاز والمدينة؛ ومن هؤلاء العلماء ممن قدم مصر من أهل المدينة في العصر العباسي عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري (٩٠ – ١٤٨ هـ) عالم الديار المصرية ومفتيها، قدم مصر مؤدبًا لأبناء صالح بن علي الهاشمي عم المنصور الذي قتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بقرية بوصير في صعيد مصر، فبقى عمرو بمصر، وهو مدني.

– عثمان بن الحكم الجذامي (ت ١٦٣هـ)، من أصحاب مالك المشهورين، أول من أدخل علم مالك إلى مصر، ولم يأت مصر أنبل منه، وروى عن مالك،

(١) السبكي « تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين ت ٧٧١هـ» : طبقات الشافعية الكبرى، (تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٤١٣هـ)، ٧/ ٢١٥.

وموسى بن عقبة، ويحيى بن سعيد[١] . ومن تلاميذ مالك بمصر ابن القاسم، وأشهب، وابن عبد الحكم، والحارث بن مسكين، واستمرت الطريقة المالكية في مصر من لدن الحارث بن مسكين، وابن المبشر، وابن الليث، وابن الرشيق، وابن شاس، وكانت بالإسكندرية في بني عوف وبني سند وابن عطاء الله[٢] .

- عبد الله بن لهيعة (ت ١٧٤هـ) الإمام العلامة المحدث القاضي، كان محدث الديار المصرية مع الليث، لقى عددًا من كبار علماء مصر والحرمين[٣] . وكان مذهب الإمام مالك أول ما عرفته مصر من المذاهب الأربعة، وقد قدم به إليها عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى، وكان فقيهًا، وقد توفى في الإسكندرية سنة ١٦٣هـ، واشتهر مذهب مالك منذ ذلك الحين في مصر[٤] .

- الليث بن سعد (ت ١٧٥هـ) الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، عالم الديار المصرية في زمانه، كان ذا مكانة عالية في مصر تعلو على القضاة والولاة حيث كانوا جميعًا تحت أوامره، ويرجعون إلى رأيه ومشورته، قدم المدينة وحضر المجالس

(١) الذهبي: السير ٦/ ٣١، ٣٤٩؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨ / ١٤، ٣١٨؛ السيوطي: حسن المحاضرة (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، القاهرة ١٣٨٧هـ)، ١/ ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٢؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٣٤٦.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص ٥٧٠؛ صبحي عبد المنعم، مرجع سابق، ص ٣٢٣.

(٣) الذهبي: السير، ٨/ ١٠؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/ ٣٧٣ – ٣٧٩؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٣٤٧.

(٤) صبحي عبد المنعم: مرجع سابق، ص ٣٢٦.

والحلقات العلمية فيها مثل مجلس ربيعة حيث عُرف فيه فضل الليث وعلمه من خلال النقاش العلمي الذي كان يدور مع طلاب العلم[١].

- عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقي (ت ١٩١ هـ) عالم مصر ومفتيها في عصره رحل إلى المدينة اثنتي عشرة مرة، وقابل الإمام مالك في كل مرة وأخذ عنه عددًا من المسائل العلمية، ويعتبر أكثر تلاميذ مالك إحاطة بعلمه. وممن قدم أيضًا: عبد الله بن وهب بن مسلم مولى قريش (ت ١٩٧هـ) الإمام الفقيه، والمحدث، قدم المدينة أكثر من مرة وبلغت حجاته ستًا وثلاثين حجة، وكان يقسم وقته ثلاثة أقسام فقسم في الرباط، وقسم يعلم الناس بمصر، وقسم يحج فيه، وقد لازم الإمام مالك حتى توفى[٢].

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء العلماء فقط بل كان هناك غيرهم أسهموا في الرحلات العلمية وإثراء الحياة الثقافية في البلدين، ومنهم:

- حميد بن زياد أبو صخر المدني، وإسماعيل بن مسلمة، وعبد الرحمن بن عطاء القرشي (ت ١٤٣هـ)، ويعقوب بن مجاهد المدني (ت ١٤٩هـ)، ومن

(١) الفسوي: مصدر سابق ١/ ٦٩٠؛ الذهبي: السير ٨/ ٢٢، ١٤٥؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٨/ ٤٥٩، ص ٤٦٢؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ١/ ٣٠١؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٣٤٧.

(٢) الذهبي: السير، ٩/ ١٢٠، ١٢٥ ، ٢٢٣ – ٢٣٣؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦/ ٧١ – ٧٤، ٢٥٣؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ١/ ٣٠٣؛ عياض: المدارك ٢/ ٤٢٢؛ الموسى: مرجع سابق، ص ٣٤٨.

أهل مصر طليب بن كاكل اللخمي (ت ١٧٣هـ)، وسعيد بن عبد الله بن أسعد المعافري (ت ١٧٣هـ)، أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري (ت ٢٠٤هـ)[١] ، وإسحاق بن الفرات أبو النعيم التجيبي (ت ٢٠٤هـ) وعبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصري (ت ٢١٥هـ)، أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع القرشى الأموى (ت ٢٢٥هـ)[٢] وعبد الرحمن بن عبد العزيز ابن الطير، ومحمد بن عوف المدني، وعلي بن حميصة[٣] .

– عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر التكزاي (معين الدين أبو محمد) من أهل المدينة كان عالمًا ومقرئًا ولد سنة ٦١٤هـ، وقد رحل إلى الأسكندرية وسكنها وبها توفى سنة ٦٨٣هـ، ومن كتبه «الشامل في القراءات السبع»،

(١)) نظر ترجمته في» :التاريخ الكبير» للبخاري (٢/ ٥٧)، «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢/ ٣٤٢)، «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (١/ ٤٤٧)، «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٢٣٨)، «البداية والنهاية» لابن كثير (١/ ٢٥٥)، «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٥٠٠)، «الكاشف» (١/ ١٣٥)، «دول الإسلام» (١/ ١٢٧) كلها للذهبي، «الديباج المذهب» لابن فرحون (٩٨)، «وفيات ابن قنفذ» (٣٩)، «تهذيب التهذيب» (١/ ٣٥٩)، «تقريب التهذيب» (١/ ٨٠)، «نزهة الألباب» (٤١) كلها لابن حجر، «شذرات الذهب» لابن العماد (٢/ ١٢)، «شجرة النور» لمحمَّد مخلوف (١/ ٥٩)، «الفكر السامي» للحجوي (١/ ٢/ ٤٤٦)، «تاريخ التراث العربي» لسزكين (٢/ ١٣٥).

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ٣٣٥ ، ٢٤٠ – ٢٤٢، ٢٤٦، ٣٥٩ – ٣٦٠، ٣٦١ ؛ ٣/ ٤١؛ ٦/ ٢٣١؛ ٩/ ٢٤٠؛ السيوطي: حسن المحاضرة ١/ ٢٠٥، ٢٧٣، ٢٨٧، ٣٠٢، ٤٤٦، الموسى: مرجع سابق، ص٣٤٨، ٣٤٩.

(٣) صبحي عبد المنعم، مرجع سابق، ص ٣٤٠.

و«الاقتضاء في معرفة الوقت والابتداء»[١] . والشيخ الإمام العلامة شيخ المالكية جلال الدين أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس[٢] بن نزار بن عشائر بن شاس الجذامي السعدي المصري المالكي مصنف كتاب «الجواهر الثمينة في فقه أهل المدينة». سمع من: عبد الله بن بري النحوي، ودرس بمصر، وأفتى، وتخرج به الأصحاب، وكتابه المذكور وضعه على ترتيب «الوجيز» للغزالي. وجوده ونقحه، وسارت به الركبان، وكان مقبلا على الحديث، مدمنا للتفقه فيه، ذا ورع، وتحر، وإخلاص، وتأله، وجهاد. وبعد عودته من الحج امتنع من الفتوى إلى حين وفاته، وكان من بيت حشمة وإمرة. حدث عنه: الحافظ المنذري، ووصفه بأكثر من هذا، وقال: مات غازيا بثغر دمياط، في جمادى الآخرة، أو في رجب، سنة ست عشرة وست مائة[٣] .

- الإمام العالم الحافظ البارع محدث العراق مؤرخ العصر، محب الدين، أبو عبد الله محمد بن محمود بن حسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي، ابن النجار.

مولده في سنة ثمان وسبعين وخمس مائة. وحج وجاور بالمدينة ومكة وله كتاب «الدرر الثمينة في أخبار المدينة»، وكتاب «روضة الأولياء في مسجد إيلياء»،

(١) عبد السلام هاشم حافظ: المدينة المنورة في التاريخ دراسة شاملة، (منشورات النادي الأدبي بالمدينة، المدينة المنورة ١٤٠٢هـ)، ص ١٥٤.

(٢) ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان «٣/ ترجمة ٣٣٧»، وشذرات الذهب لابن العماد «٥/ ٦٩».

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٦/ ١١٠.

وكتاب «نزهة القرى في ذكر أم القرى»، وكتاب «الأزهار في أنواع الأشعار»، وكتاب «عيون الفوائد» ستة أسفار، وكتاب «مناقب الشافعي»، وغير ذلك[١].

أما بالنسبة للراحلين من حملة العلم من أقاليم ومدن المشرق الإسلامي إلى المدينة في العصر العباسي فقد تفاوتت أعدادهم من مكان لآخر، حيث لوحظ تدفق الكثير من حملة العلم من بعض المدن الخراسانية وبشكل متزايد إلى الحجاز مثل: مرو، ونيسابور، وهراة، وقد يرجع سبب ذلك إلى قوة النشاط العلمي في تلك المدن، مما دفع بالغالبية من حملة العلم في دار الإسلام إلى الاقتصار والاكتفاء بالرحلة إلى مكة والمدينة[٢].

ووجد الكثير من حملة العلم النيسابوريين ممن اشتهروا بكثرة التردد على المدينة للتمتع بأحوالها الدينية والعلمية، والإسهام في تطور الحياة العلمية فيها عن طريق قيام البعض منهم بالتدريس في الحرم النبوي الشريف ومنهم: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي (ت ٣١١هـ) وأحمد بن محمد أبو سعد النيسابوري (ت ٣٥٥هـ)، ومنصور بن رامش النيسابوري (ت ٤١٥هـ)، وعبد الملك بن عبد الله الجويني الذي أقام بالمدينة ومكة قرابة الخمس سنوات يدرس فيهما حتى لقب بإمام الحرمين[٣].

---

(١) المصدر السابق ١٦/ ٣٥٦.
(٢) المصنف، مرجع سابق، ص ١٦٢.
(٣) المرجع السابق، ص ١٦٤.

ومن همذان ظهير الدين بن الحسن بن محمد بن عبد الله أبو شجاع الروذاوري، المولود سنة ٤٣٧هـ، وهو أديب من همذان بفارس، ولي الوزارة للمقتدر العباسي في بغداد سنة ٤٧٦هـ، وعزل سنة ٤٨٤هـ، ثم حج سنة ٤٨٧هـ وزار المدينة وأقام بها إلى أن توفى سمة ٤٨٨هـ، وله كتاب «ذيل تجارب الأمم لمسكويه»[١] .

ومن أصبهان: الشيخ الإمام، الحافظ الثقة، المسند، محدث أصبهان، أبو سعد[٢] ، أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن علي بن أحمد بن سليمان، البغدادي الأصل، الأصبهاني. ولد بأصبهان، في صفر، سنة ثلاث وستين وأربع مائة. قال السمعاني: ثقة حافظ، دين خير، حسن السيرة، صحيح العقيدة، على طريقة السلف الصالح، تارك للتكلف، كان يخرج إلى السوقة وعلى رأسه طاقية، وكان يصوم في طريق الحجاز. وأشار الذهبي إلى: حج أبو سعد إحدى عشرة حجة، وتردد مرارا، وسمعت منه الكثير، ورأيت أخلاقه اللطيفة، ومحاسنه الجميلة، مات بنهاوند، راجعا من الحج، في ربيع الأول، سنة أربعين وخمس مائة، وحمل إلى أصبهان، فدفن بها[٣] . ومحمد بن أبي يحيى الأسلمي

(١) عبد السلام هاشم: مرجع سابق، ص ١٥٤.

(٢) ترجمته في المنتظم لابن الجوزي «١٠/ ترجمة ١٦٦»، وتذكرة الحفاظ «٤/ ترجمة ١٠٧٧»، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي «٥/ ٢٧٨»، ووقع عنده «أبو سعيد» بدل «أبو سعد»، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي «٤/ ١٢٥».

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٩٢.

نزيل المدينة توفي سنة ست وأربعين ومائة وهو من طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، وقد حدث بغير حديث لم يروه غيره[1] .

أما الرحلات بين المدينة وأفريقية والأندلس فقد بدأت منذ عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله وتوسعت في العصر العباسي منهم عبد الله بن فروخ (ت ١٧٦هـ)، كان على صلة بالإمام مالك حيث كاتب الإمام مالك في مسائل علمية، وأجابه الإمام مالك.

والبهلول بن راشد (ت ١٨٣هـ)، إمام أهل المغرب في وقته، روى عن الإمام مالك، عبد الله بن غانم (ت ١٩٠هـ) قاضي أفريقية، قدم الحجاز فسمع من مالك واعتمد فتواه وقضاءه على مذهب الإمام مالك. وممن قدم المدينة وسمع من الإمام وغيره: صقلاب بن زياد الهمذاني (ت ١٩٣هـ)، وأسد بن الفرات، وزكريا بن يحيى بن سلام، ويزيد بن محمد الجمحي (ت ٢١٢هـ)، وعمر بن الحكم اللخمي، وزكريا بن محمد بن الحكم اللخمي. ومن الأندلس قدم إلى المدينة معاوية بن صالح الحضرمي (ت ١٥٨هـ)، قاضي الأندلس، وزياد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير اللخمي (شبطون) (ت ١٩٣هـ) يكنى أبا عبد الله، وهو زياد بن عبد الرحمن ابن زهير بن ناشدة بن

(١) الأصبهاني « أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري ت ٣٦٩هـ»: طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، (تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٢م)، ١/ ٣٨٩.

لوذان من حي ابن أخطب بن الحارث بن وائل اللحمي وقد قيل إنه من ولد حاطب بن أبي بلتعة. سمع من مالك الموطأ، وله عنه في الفتاوى كتاب سماع معروف بسماع زياد، وسمع من معاوية بن صالح القاضي، كان زياد أول من أدخل إلى الأندلس موطأ مالك، مثقفاً بالسماع منه، ثم تلاه يحيى بن يحيى. قال يحيى بن يحيى زياد أول من أدخل الأندلس علم السنن ومسائل الحلال والحرام، ووجوه الفقه والأحكام وهو أول من عرف بالسنة في تحويل الأردية في الاستسقاء، قال الشيرازي: كان أهل المدينة يسمون زياداً فقيه الأندلس. وحكى ابن حارث أنه كانت له إلى مالك رحلتان: أحداهما حين اجتمع به معاوية بن صالح. وحكى أبو بكر المالكي أن زياداً قدم المدينة فدخل على مالك وعنده ابن كنانة. فلم يعرفه ابن كنانة. فسأله ابن كنانة عن بلده، فذكره فقال له فقيه بلدكم؟ قال: أنا أو نحو"[1] .

وممن قدم المدينة الغازي بن قيس (ت ١٩٩هـ)، وممن ارتحل إلى المدينة يحيى بن يحيى بن كثير الليثي (ت ٢٣٤هـ)، فقيه الأندلس وسمع من مالك الموطأ، وصار له مكانة عالية في الأندلس، وكان يفتي بها برأي مالك[2] .

(١) عياض: المدارك ٣/ ١١٦- ١١٨.

(٢) المصدر السابق، ٩/ ٣٢٢؛ سعد البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة ١٩٨٢م، ص ٣٤؛ سعد الموسى: تاريخ الحياة العلمية، ص ٣٥٤.

وتصدرت مدينة قرطبة الأولوية بين مدن بلاد الأندلس الأخرى في المرحلة العلمية لحملة العلم فيها إلى المدينة ومكة حيث توافد الكثير من حملة العلم القرطبيين على المدينة بهدف الحج وطلب العلم، شأنهم شأن غيرهم ممن مر الحديث عنهم سابقًا، فكان من أبرزهم: محمد بن خالد بن مرتنيل الأشج القرطبي (ت ٢٢٤هـ) الذي رحل إلى بلاد الحجاز فتتلمذ على العلماء المدنيين والمصريين ونظرائهم[١] وعبد الملك بن حبيب القرطبي (ت ٢٣٩هـ) الذي وفد على المدينة ودرس على عبد الملك بن الماجشون، وأسد السنة (ت ق٣هـ)، وأصبغ بن الفرج (ت ق ٣هـ) وطبقتهم ورجع الأندلس بعلم جم. حتى صار بعد ذلك يسمى بعالم الأندلس، ومحمد بن يوسف بن مهران القرطبي (ت ٢٧١هـ) الذي تتلمذ في المدينة على أصبغ (ت ٤٢٦هـ)، ومطرف بن عبد الله (ت ق ٣هـ)[٢] .فرجع إلى قرطبة من رحلته فقيهًا يُفتى ويُقرأ عليه العلم في جامع قرطبة[٣] .

كما شهدت بلاد الحجاز توافدًا كبيرًا من أبناء مدينة إستجة الأندلسية للسماع من علمائها والدراسة عليهم في المدينة، ومنهم: عبد الرحمن بن موسى الهواري (ت ق ٣ هـ) الذي تتلمذ على يد الإمام مالك، وسفيان بن عيينة وغيرهما من علماء

(١) عياض: المدارك ٣/ ٢٦؛ المصنف، مرجع سابق، ص ١٧٤.
(٢) المصنف، المرجع السابق، ص ١٥٥.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٥.

المدينة والحجاز. كما أنه داخل العرب فتردد في محالها، ورجع إلى الأندلس بعلم كثير، فاستفاد منه حملة العلم، فاعتبر أول من جمع الفقه في الدين وعلم العربية في الأندلس وصنف الكثير من الكتب[١] وخالد بن عبد الملك بن خالد (ت ٣٦٢هـ) أحد المكثرين في التردد على المدينة في طلب العلم، ويوسف بن محمد بن عمروس (ت ٣٧٠هـ) وغيرهم ممن رحلوا إلى المدينة لطلب العلم[٢].

وتشير الدراسات التاريخية إلى أن المدينة تراجع عطاؤها العلمي والثقافي بداية من القرن الثالث الهجري، وظل هذا التراجع مستمرًا حتى عصر ابن جبير، إلا أن ذلك لا يعني انعدام النشاط العلمي كلية فقد ظل حاضرًا لكن في قِلَّة إذا ما قيس بما كانت عليه المدينة في القرنين الأول والثاني الهجريين، وإذا ما قورن بحالة النشاط العلمي التي كانت عليها الأقاليم المجاورة كمصر والشام والعراق في ذلك الحين[٣]. وبمرور الوقت أضحت المدينة ومن بعدها مكة من الحواضر الآفلة حضاريًّا بعد أن كانت قبلة العلم والعلماء، وأضحى الارتباط بهما ارتباطًا موسميًّا متصلا بالأساس بأداء مناسك الحج والعمرة أو المجاورة[٤].

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٦، ١٧٧.
(٣) ياسر، مرجع سابق، ص ٢٠٦.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٩٥، ١٩٦.

وقد أفضى نزوح علماء المدينة وارتحالهم إلى الأقاليم والأمصار الجديدة إلى حدوث خلل في الميزان العلمي لصالحها على حساب المدينة، ومن ثم قلت الرحلة إلى الحرمين الشريفين لطلب العلم مع نهاية القرن الثالث الهجري، إضافة لظهور مدارس فقهية جديدة في عدد من الأمصار نافست المدينة ومكة، بل أدت السياسة دورها في تعضيد بعض المذاهب على حساب مذهب أهل المدينة الفقهي، وحادثة القاضي أبي يوسف مشهورة في التاريخ حيث لم يول قضاء الأقاليم والأمصار إلا من كان حنفي المذهب، كل هذا أفضى إلى جعل مذهب مالك غريبًا في الحجاز بعد أن كان أصل الدراسات الفقهية[١] .

وإجمالا يمكن القول: إن المدينة المنورة في العصر العباسي مرت بفترات متعاقبة من الهدوء والاضطراب السياسي، ومن ازدهار الحركة العلمية وتقلصها، وكان العامل المؤثر في ذلك قوة الدولة، وشخصية أمير المدينة، ومدى حكمته[٢] . كما توضح الدراسة بعض أوجه النشاط العلمي المكثف بالحرم النبوي الشريف، ساهم في عِظم هذا النشاط روادُ هذه الحركة تعليما وتصنيفًا من علماء المدينة والمجاورين، والوافدين من علماء المواسم سنويا، والذي قلما يخلو عام من وجوه مشاهيرهم، وقد خرجت الحركة العلمية من أوساطهم، متنوعة بتنوع معارف روادها، وأشارت الدراسة إلى نماذج روادها،

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٦.
(٢) بادشاه، مرجع سابق، ص ١٢٤.

وتنوع أنشطتهم، ومناصب بعضهم، وبينت أنه كان من هؤلاء وأولئك جمعا من الفقهاء، والمحدثين، والقضاة، والأئمة، والأدباء، وأوضحت أن كلا من هؤلاء غالبًا، قد ألموا بالعلوم الدينية والعربية،[١] وتميز بعضهم بالعلوم الأدبية، وقليلا ما اشتغل منهم بالعلوم العقلية، وأشارت الدراسة إلى الجوانب الثقافية والعلاقة بين المدينة والأمصار الإسلامية الأخرى التي كانت بلا شك من أهم بواعث الحياة العلمية قوة وضعفًا،وأوضحت الدراسة الوجه الآخر الذي ساهم في ازدهار الحركة العلمية لا بعلمه بل بماله كأصحاب المآثر الحميدة من الخلفاء ومحبي الخير من أثرياء المسلمين، وبينت الدراسة وقومت حال الحركة العلمية ضعفا وقوة تبعا لما طرأ عليها من الأمور السياسية والاقتصادية، وأشارت الدراسة إلى بعض رواد هذه الحركة الذين مارسوا أعمالا أو وظائف أخرى[٢] حبًا في توفير نفقات معيشتهم من كَد أيديهم.

(١) نوال طلال عبد الله الشريف: الحياة العلمية في بلاد الحجاز وعلاقتها بمصر في القرنين السادس والسابع الهجريين (رسالة دكتوراة غير منشورة) كلية التربية للبنات، جدة ١٩٩٧م، ص ٧٣٢ ـ ٧٣٥.

(٢) المرجع السابق، ٧٣٦.

فهرس المصادر والمراجع

١- إبراهيم مصطفى و آخرون، المعجم الوسيط، (ج ١، دار الدعوة، القاهرة ١٩٨٩).

٢- ابن الجزري (عبد القادر بن محمد بن عبدالقادر الأنصاري، ت ٨٣٣هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، (دار الباز، مكة ١٤٠٠هـ).

٣- ابن الجوزي «جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ»: صفة الصفوة، (تحقيق: أحمد بن على، دار الحديث، القاهرة ١٤٢١هـ).

٤- ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق ت ٤٣٨ هـ)، الفهرست، (تحقيق: رضا تجدد، مكتبة الأسدي، طهران ١٣٩٠هـ).

٥- ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ت ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى (جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، آخر، دار العربية، بيروت ١٣٩٨م) .

٦- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن على ت ٨٥٢هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري (تحقيق: محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان، القاهرة ١٤٠٧هـ).

٧- ابن سعد «محمد بن سعد بن منيع الزهري، ت ٢٣٠هـ»: الطبقات الكبرى، "تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨ م.

٨- ابن فرحون (إبراهيم بن على بن محمد المالكي ت٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، (تحقيق: محمد الأحمدي، مكتبة التراث، القاهرة ١٩٩٩م).

٩- ابن فهد «النجم عمر بن فهد محمد بن محمد، ت ٥٨٥هـ»: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، (تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط١، مكتبة الخانكي، القاهرة ١٣٧٥هـ".

١٠- ابن فهد، «عز الدين عبد العزيز عمر بن محمد الهاشمي القرشي، ت٩٢٢هـ»: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام،(تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار المدني، جدة ١٤٠٦هـ).

١١- ابن قتيبة (أبو عبد الله محمد بن مسلم بن عياض): الإمامة والسياسة، (تحقيق: طه الزيني، بيروت ١٣٧٨هـ).

١٢- ابن مجاهد (أحمد بن موسى بن العباس التميمي ـ ٣٢٤هـ)، كتاب السبعة في القراءات (تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٤٠٠هـ).

١٣- ابن مجاهد، أحمد بن موسى (ت ٣٢٤هـ)، السبعة القراء، (تحقيق: شوقي ضيف، ط١، دار المعارف، القاهرة ١٤٠٠م).

١٤- أبو الفرج الأصفهاني، «علي بن الحسين، ت ٣٥٦هـ»: مقاتل الطالبيين، (تحقيق: أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، د. ط. ت).

١٥- أحمد السباعي: تاريخ مكة (دار مكة للطباعة، مكة ١٣٩٩هـ).

١٦- الأصبهاني «أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري ت ٣٦٩هـ»: طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، (تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٢م).

١٧- تقي الدين أحمد بن على المقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، (تحقيق: جمال الدين الشيال،ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٢٠هـ).

١٨- حافظ محمد بادشاه: الحجاز في أدب الرحلة العربي، (رسالة دكتوراه – غير منشورة – الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد ٢٠١٣م).

١٩- حسين فهيم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، العدد ١٣٨، الكويت ١٩٨٩م.

٢٠- حسين فهيم: قصة الانثروبولوچيا فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، عدد فبراير ١٩٨٥ م.

٢١- حسين مؤنس: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها، وتطورها "ط. الثانية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٣٧، الكويت ١٩٩٨ م.

٢٢- الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد (دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٤هـ).

٢٣- خليفة بن خياط، «أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري، ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م»: تاريخ خليفة بن خياط، (تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض ١٤٠٥هـ).

٢٤- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء (تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ).

٢٥- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ن ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام "تحقيق بشار عوّاد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٣م.

٢٦- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ن ٧٤٨هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار (تحقيق: بشار عواد، وأخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ).

٢٧- الزَّبيدي. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، «المتوفى: ١٢٠٥هـ»: تاج العروس من جواهر القاموس «تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة د.ت».

٢٨- الزبيري «مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله ت ٢٣٦هـ»: نسب قريش، (تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة ١٤٠٣هـ).

٢٩- السبكي «تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين ت ٧٧١هـ» : طبقات الشافعية الكبرى، (تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٤١٣هـ) .

٣٠- السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، (تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة د.ت).

٣١- سعد موسى الموسى: تاريخ الحياة العلمية في المدينة النبوية خلال القرن الثاني الهجري، (دار القاسم، الرياض ١٤٢٨هـ).

٣٢- سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر في العصور الوسطى، (دار النهضة العربية، القاهرة ١٣٨٩هـ).

٣٣- سليمان عبد الغني مالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري (رسالة دكتوراه – غير منشورة - كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، القاهرة ١٤٠١ هـ).

٣٤- سليمان عبد الغني مالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري (رسالة دكتوراه – غير منشورة - كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، القاهرة ١٤٠١ هـ).

٣٥- السمهودي «علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن، ت ٩١١هـ»: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، (دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ).

٣٦- السيوطي «جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر الشافعي» ت٩١١هـ: تحذير الخواص من أكاذيب القصاص (تحقيق: محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٧٤م).

٣٧- السيوطي (جلال الدين ت ٩١١هـ): تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، (المطبعة الخيرية، ط١، ١٣٢٥هـ).

٣٨- السيوطي: حسن المحاضرة (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، القاهرة ١٣٨٧هـ).

٣٩- الشيرازي «إبراهيم بن على بن يوسف ت ٤٧٦هـ»، طبقات الفقهاء، (دار القلم، بيروت ١٤٠٠هـ)، ص ١٥٢.

٤٠- الشيرازي «أبو اسحاق إبراهيم بن علي، ت ٤٧٦هـ»: طبقات الفقهاء (هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور «ت ٧١١هـ»، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٧٠).

٤١- صالح أحمد العلي: العطاء في الحجاز تطور تنظيمه في العهود الإسلامية الأولى، (مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد العشرون ١٣٩٠هـ ـ١٩٧٠م).

٤٢- صبحي عبد المنعم محمد: العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، (العربي للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٣م).

٤٣- الطبري: «أبو جعفر محمد بن جرير»«ت٣١٠هـ»: تاريخ الأمم والملوك، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية بمصر، القاهرة ١٩٣٩م.

٤٤- الطبري، «أبي جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م»: تاريخ الأمم والملوك، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، روائع التراث العربي، بيروت، د. ط. ت).

٤٥- عائشة عبد الله باقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، (منشورات نادي مكة الثقافي، مكة د.ت).

٤٦- عائشة عبد الله عمر باقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، (رسالة ماجستير – غير منشورة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة ١٤٠٠هـ).

٤٧- عبد الرحمن أحمد حفظ الدين المصنف : الحياة العلمية في الحجاز في القرنين الثالث والرابع الهجريين (رسالة دكتوراة - غير منشورة – جامعة صنعاء، كلية الآداب ٢٠٠٣م).

٤٨- عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار«دار الجيل بيروت د. ت».

٤٩- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، (دار البيان، بيروت ١٩٧٩هـ).

٥٠- عبد الرحمن مديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي دراسة تاريخية، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤٢٢هـ).

٥١- عبد السلام هاشم حافظ: المدينة المنورة في التاريخ دراسة شاملة، (منشورات النادي الأدبي بالمدينة، المدينة المنورة ١٤٠٢هـ).

٥٢- عبد العزيز بن راشد السنيدي: الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، (ط١، مكة ١٤٢٤هـ).

٥٣- عبد العزيز بن راشد السنيدي: المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (٥٧٠ – ٦٦٠هـ/ ١١٧٤ – ١٢٦١م) ،(ضمن بحوث مكة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦م).

٥٤- عبد العزيز راشد السنيدي: الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، (مكة ١٤٢٤هـ).

٥٥- عبد الغني الدقر: مالك بن أنس، (دار القلم، دمشق ١٤٠٢هـ).

٥٦- العبدرى: (أبى عبد الله محمد بن سعود) (ت٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)، رحلة العبدرى، (تحقيق: على إبراهيم كردى، الطبعة الأولى، دمشق،١٩٩٩م).

٥٧- عمارة اليمني: المفيد في تاريخ اليمن (تحقيق: حسن سليمان، القاهرة ١٩٥٧).

٥٨- عمر الأشقر، تاريخ الفقه الإسلامي، (مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٠٢هـ)، ص ٩٩.

٥٩- عمر الفاروق السيد رجب: المدينة المنورة اقتصاديات المكان، السكان، المورفولوجية (ط١، دار الشروق، جدة ١٩٧٩م).

٦٠- عمرو عبد العزيز منير: الثقافة بين بغداد والقاهرة في التراث العربي الإسلامي عصر السيادة الإسلامية (بحوث ندوة بغداد عاصمة الثقافة العربية ٢٠١٣م، تحرير منتصر الغضنفري، بغداد ٢٠١٤م).

٦١- عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ): الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، (تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث / المكتبة العتيقة - القاهرة / تونس ١٣٧٩هـ).

٦٢- غثيان بن على بن جريس: دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري خلال العصر الإسلامي من القرن الأول الهجري إلى القرن العاشر الهجري، (مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، العدد ١٢٧، مكة ١٤٢٥ه).

٦٣- الفاسي، محمد بن أحمد الحسيني المكي «ت ٨٣٢هـ»: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (، تحقيق: لجنة من كبار العلماء والأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت. د. ط. ت).

٦٤- الفاسي، محمد بن أحمد الحسيني المكي «ت ٨٣٢هـ»: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، (تحقيق: فؤاد سيد، ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت١٤٠٦هـ).

٦٥- فريال محمود عباس قطان: الحجاز في ظل الدولة الأيوبية والفاطمية بمصر، (جدة ٢٠٠٣هـ).

٦٦- فريال محمود عباس قطان: الحجاز في ظل الدولة الأيوبية والفاطمية بمصر، (القاهرة ٢٠٠٣م).

٦٧- الفيروزآبادى «مجد الدين محمد بن يعقوب» المتوفى سنة ٨١٧ هـ: «القاموس المحيط» مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، بيروت ٢٠٠٥ م.

٦٨- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذاهب مالك، (تحقيق أحمد بكير محمود، مكتبة الحياة، بيروت ١٤٠١هـ).

٦٩- قطب الدين: تاريخ المدينة، (تحقيق عبد الله بن عيد العزيز بن إدريس، رسالة دكتوراة، جامعة ادنبرة ١٩٨٥م).

٧٠- القلانسي (أبو العز محمد بن الحسين ت ٥٢١هـ)، إرشاد المتدئ وتذكرة المنتهى في القراءات العشر، (تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، مكتبة الفيصلية، مكة ١٤٠٤هـ).

٧١- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني «المتوفى: ١٧٩هـ»: الموطأ، (تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي ١٤٢٥ هـ).

٧٢- محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، (دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣ هـ).

٧٣- محمد العيد الخطراوي: المدينة في صدر الإسلام الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية (كتاب العربية، العدد ١٢٣الرياض ٢٠١٣م)، ص ١١، ١٢.

٧٤- محمد بن سليمان الخضيري، وآخرون: منطقة المدينة المنورة، موسوعة المملكة العربية السعودية، (م٤، ج١، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض ١٤٢٨هـ).

٧٥- محمد مصطفى الأعظمي: دراسات في الحديث النبوي، (المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٠هـ).

٧٦- محمد مصطفى الأعظمي: منهج النقد عند المحدثين (ط٢، الرياض ١٤٠٢هـ).

٧٧- المزي، «جمال الدين بن الحجاج بن يوسف ت٧٤٢هـ»: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (تحقيق: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت).

٧٨- مسلم «أبو الحسين مسلم بن الحجاج» ت٢٦١هـ/ ٨٧٥م: صحيح مسلم «تحقيق محمد فؤاد، البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٥م».

٧٩- مشعل نايف الدهاس: الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين دراسة تاريخية حضارية (رسالة ماجستير – غير منشورة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة ١٤٢٩هـ).

٨٠- مشعل نايف عايض الدهاس: الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين دراسة تاريخية حضارية (رسالة ماجستير - غير منشورة – جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٨م).

٨١- ميسون العنزي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في العصر العباسي الأول منذ ١٣٢هـ - ٢٣٢هـ، (رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة اليرموك، اليرموك ١٤٢٥هـ).

٨٢- ميسون مزكي فردوس العنزي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في العصر العباسي الأول منذ (١٣٢هـ - ٢٣٢هـ / ٧٤٩ م – ٨٤٦م)، (رسالة ماجستير – غير منشورة – كلية الآداب، جامعة اليرموك، قسم التاريخ، الأردن ١٤٢٥هـ).

٨٣- نجلاء محمد عويض المطيري: النوازل والفتن وآثارها في بلاد الحجاز من بداية القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن الثالث الهجري (القرن السابع إلى التاسع الميلادي، (مؤسسة عبد الرحمن السديري، الرياض ١٤٣٥هـ).

٨٤- النجم بن فهد، «عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد، ت٨٨٥هـ»: أتحاف الورى بأخبار أم القرى، (تحقيق: فهيم شلتوت، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر، القاهرة ١٤٠٤هـ).

٨٥- هيام على عيسى: الحج إلى الحجاز في العصر المملوكي ، (رسالة دكتوراة – غير منشورة – جامعة القديس يوسف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت ١٤٣١هـ).

٨٦- الواقدي "محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله «ت ٢٠٧هـ»: فتوح الشام «دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م».

٨٧- وسن سمين محمد أمين: التجارة في الحجاز خلال العصر الفاطمي، (مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد الرابع، العدد الأول ٢٠١١م).

٨٨- ياسر أحمد نوار: أحوال الحجاز في ضوء رحلة ابن جبير تفسير جديد، (ضمن أبحاث الندوة العالمية السادسة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، الجزيرة العربية من بداية القرن الخامس الهجري وحتى نهاية القرن السابع الهجري، بجامعة الملك سعود، الرياض ١٤٢٧هـ).

٨٩- ياقوت الحموي «شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي» المتوفى: ٦٢٦هـ: معجم البلدان، «دار صادر، بيروت ١٩٩٥م».

٩٠- اليعقوبي «أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح»: تاريخ اليعقوبي، "مجلد ١، دار صادر، بيروت ١٩٦٠ م.

٩١- اليغموري «يوسف بن أحمد بن محمود ت ٦٧٣هـ»، نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني، (تحقيق: رودلف زلهايم، دار فرانتس شتاين بفسبادن، ألمانيا ١٣٨٤هـ).

٩٢- يوسف بن عبد الله النمري (ت٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (تحقيق: محمد التائب السعيدي، (وزارة الأوقاف المغربية، الرباط ١٤٠٢هـ).

٩٣- يُوسُف هوروفقس: المغازي الأولى وَمؤلفوها "ترجمة حسين نصار، ط١، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٤٩م.